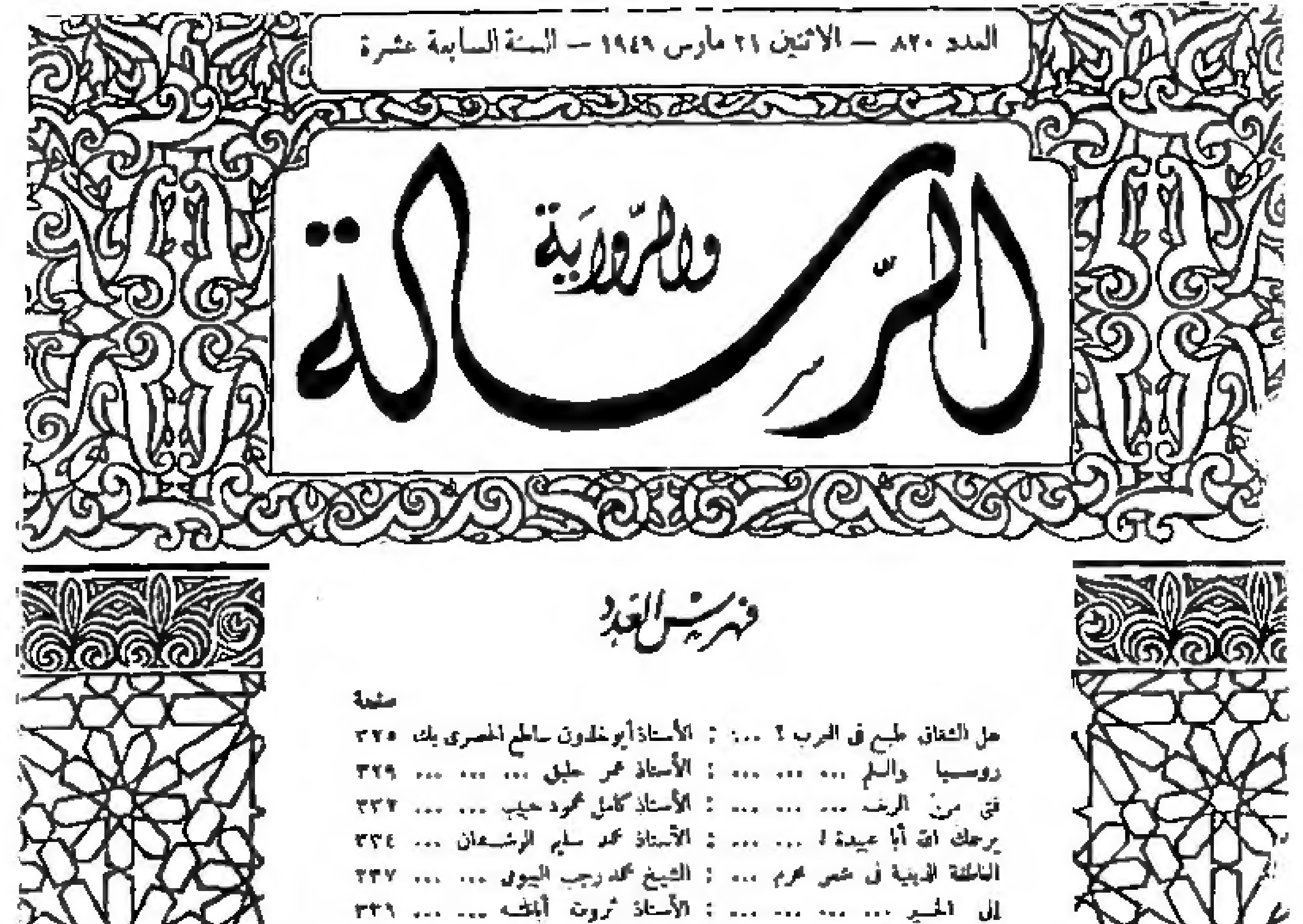


فهرس العدد

٣٢٠٢٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 820

Lundi — 21 — 3 — 1949


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ جمادي الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع في العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وأما ما ذكرتموه من رأى ابن خلدون في هذه القضية ، فهو أيضاً في حاجة إلى إنعام النظر .

فقد تقلتم الفقرات التالية ، من مقدمة هذا المفكر العظيم :

« والعرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة ؛ فقلما تجتمع أهواؤهم . من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة » .

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هذا الرأى في مقدمته المشهورة ، ولكني أرى من الضروري أن نتفطن جيداً إلى مايقصده من كلمة العرب الواردة في هذه الفقرات ؛ ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب .

من الأمور التي يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام — حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها — أن مؤلفها كان يقصد من كلمة « العرب » العربان بوجه خاص وفقاً لما هو متعارف بين العوام — ؛ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام كما نفهمها ونتصورها نحن الآن .

إنني سردت الأدلة الكثيرة التي تبرهن على ذلك برهنة قاطعة في عدة مقالات نشرتها في بيروت وبغداد وفي فصل خاص من الدراسات التي كتبتها عن مقدمة ابن خلدون ، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث في هذا المقام . ولما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت ، رأينا أن ننقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها ، وقد انتخبنا أحدهما من القسم الأول من المقدمة ، والثاني من القسم الأخير منها ، قلت :

« فلنلاحظ الفصل الذي يقول فيه ابن خلدون « إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ولنتمعن الأدلة التي يذكرها لتعليل رأيه هذا :

« فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب ، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له . فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر فينقلونه من المباني فيخربونها عليه ، ويعدونه لذلك . والخشب إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه . . . » (ص ١٤٩) .

ومن البديهي أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام . ولا مجال للشك في أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال « لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع

القدور ، ولا إلى الخشب إلا لنصب الخيام » لم يتكرر قط في أهل دمشق أو القاهرة ، ولا بسكنة تونس أو فاس . إنما قصد أعراب البادية وحدهم . وقال :

« وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها . وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها » (ص ٥٤٤) .

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب مرتين مقابلا لكلمة الحضر ، بشكل لا يترك مجالا للشك في أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الإطلاق . غير أني أرى من الضروري أن ألفت الأنظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة : إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثاني ؛ وعنوان الباب المذكور هو : « العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال » . وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء في هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون في حالة البداوة ، ولا يشمل الذين يعيشون في المدن . ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة . والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل في نطاق البابين المذكورين .

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأي ابن خلدون في هذه القضية — وفق أسلوب كلامنا الحالي — بالعبارات التالية : « إن العرب — عندما كانوا في حالة الفطرة والبداوة — لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكا ، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل فيهم التحاسد والتنافس ، وتحملهم على الانقياد والاجتماع » .

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون في هذا المضمار — عندما تفرغ في هذا القالب — تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التي توصل إليها علماء الاجتماع في العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون إن الممالك لم تتكون في بادىء الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التي قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين — مستندين إلى المعلومات التي جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى — قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، في القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها . فالاعتقاد بقوى خارقة للمادة — من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الإيمان بالقوة الإلهية — هو الذي مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية .. في أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الإنكليزي المشهور « فرايزر » كتاباً ضخماً ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون للملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعي أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسي المشهور « فوستل دو كولانتر » — في كتابه « المدينة القديمة » — أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً في سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة : الملك إله — الملك ابن الإله — الملك من نسل الآلهة — الإله يتقمص جسد الملك — الإله ينفخ في الملك شيئاً من روحه — الإله يمد الملك بالمساعدة — هذه أشكال مختلفة — وأطوار متتالية — من الاعتقادات التي كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة في تلك القرون القديمة .

أنا لا أرى هنا مجالا لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التي تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفي بالإشارة إلى كتاب « تيارات التاريخ العالمي العظيمة » الذي نشره أخيراً « جاك بترن » أستاذ التاريخ في جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، (وهو المجلد الذي يلخص التطورات التاريخية التي حدثت في العالم منذ القدم حتى ظهور الإسلام) ،

تجدوا في كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التي تنم عن الترابط المتين الذي كان قائماً في تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك في أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً في توسيع الممالك وتكوين الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولي على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود مملكته عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ما كانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شيء من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة وبين معتقدات البلاد المفتوحة ، وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالاً مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهات جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ؛ فكان يصبح الملك ممثلاً لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهي من أتباع ذلك الإله الأعظم — وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات — وأمثالها من المعتقدات المتنوعة — تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالي البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسرة لإدامة ذلك الخضوع .

ولا أراني في حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ، ما كان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة ، ومع هذا أرى من الضروري أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان في أوروبا — في عهد تكوين الممالك — حتى القرن الثامن عشر : وهي النظرية القائلة « بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله » . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الأصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التي شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول أن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر في بادىء الأمر — إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك — بكل وضوح — أن ما قاله ابن خلدون في مقدمته المشهورة ، عن العرب في طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول — بكل تأكيد — أن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

* * *

بعد هذه النظرات الاستطرادية التي وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلي ، لنرى : هل الشقاق طبيع في العرب ؟

إن المقارنات التي قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الإجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام .

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزي في الإنسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والإيمان الديني أو القومي أو الوطني العميق .

ففي كل أمة من أمم الأرض ، وفي كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب في نفوسهم الأنانية على العوامل التي ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأي العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتي أحياناً في كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ تضعف فيه هذه القوى الوازعة فتنفلت الأنانيات من عقالها ، ويتضاءل تأثيرات الرأي العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدي إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث في كل أمة من الأمم ، وفي جميع أدوار التاريخ .

وليس في طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم في هذا المضمار .

هذا هو جوابي ، يا صديقي الأستاذ ، عن السؤال الذي وجهتموه إلي .

لا يوجد في طباع الأمة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر

الأمم في أمر الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : « إن من يتوهم الاستقرار في طبائع الأمم كمن ينشد البقاء في الموجات التي تحدث على سطح الماء عند ما نرمى حجراً فيها » .

فإن الماضي لا يقيد الحال تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق في الماضي لا يكفي لدرء أخطار التفرقة والشقاق في الحال ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق في الماضي لا يمنع الاتحاد في المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضي كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً . فلا يجوز أن نحاول تبرير مصائبنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولا أن نسعى لإلقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا — على وجه خاص — أن نستسلم إلى دواعي الفتور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وإيمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كثيرة .

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لا نقطع الأمل في النجاح في المستقبل ، وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ؛ إذ يجب علينا أن لا ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذي تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الوثابة تحفظ بالنكبات فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تتعلم من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول : إن الإيمان القوى العميق بإمكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوماً بالأمل الذي لا يقهر !

● ● ●

، وكأني أسمع

سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ما قلته آنفاً :

؟ ألا تلاحظ فظاعة الاختلافات

التي تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً ؟ ألا تشعر بالأخطار

التي صارت تهدد مستقبلنا في عقر دارنا ؟

بلى ، إني أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكاً تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً .

روســـيا والسلم

للأستاذ عمر حليق

هنـاك تعليلان فى رأى (ماكس بيلوف)(١) للأسباب التى دعت موسكو مؤخراً لأن تحمل غصن الزيتون وتواجه خصومها حلفاء الغرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم دعاة حرب لا يرضون الدخول فى مفاوضات مباشرة لتدعيم السّلم فى هذا الجو الذى ازداد توتراً .

أما التعليل الأول فيقول بأن روسيا جادّة فى حملتها السلمية الأخيرة ، وأن التحطيم الذى أصاب المدن والمساكن الروسية فى الحرب المنصرمة هو تحطيم طاحن لا يزال هوله يسيطر على مخيلة الشعب الروسى فهو يخشى الحرب حقاً ويبغى السلم ، وأن حالته النفسانية هى كحالة معظم سكان أوربا الذين نالتهم الجزرة الأخيرة وبلائها . ولذلك فإن هذا التعليل يجد من يؤمن به من الأوربيين خصوصاً أتباع الأحزاب اليسارية التى تميل إلى مسايرة السوفيات . ويقول أنصار هذا التعليل كذلك أن العقلية الروسية ليست عقلية عسكرية كعقلية الشعوب الجرمانية ، ولذلك فإن حرباً طاحنة كالحرب المنصرمة كانت كافية لأن تزيل غشاوة العنف والغطرسة العسكرية من أعين الروس فتجعل رغبتهم فى السلم حقيقية .

أما التعليل الثانى فيقول إن مراكز التوجيه فى قيادة روسيا السوفيانية اليوم فى يد جماعة من المهوسين وهم مسؤولون عن مسلك موسكو الحالى فى العلاقات الدولية ، وأن ستالين هو أسير هذه الجماعة التى منها مولوتوف وزير الخارجية وكبار قادة الجيش السوفياتى . وأنه لو تسنى لأحد أن يخترق هذا الحصار المضروب على ستالين — كما فعل عدد من الصحفيين الأجانب فى موسكو مؤخراً — لوجد أن لديه استعداداً حقيقياً للسلم . ويبدو لى أن المستر ترومان ومستشاريه المخصوصين فى البيت الأبيض من أنصار هذا الرأى . فهم يعتقدون خطأ أو صوابا بأن ستالين رجل « طيب القلب » على حد تعبير ترومان يرغب فى السلم لو تخلص من أسر (البوليت بيرو) المكتب السياسى الأعلى للاتحاد السوفياتى .

هذان هما التعليلان اللذان يقومان لتفسير حملة السلم التى صدرت عن القيادة الشيوعية الدولية فى الأسابيع الأخيرة .

ولنا أن نتساءل أولا : هل الروس راغبون فى السلم حقاً ؟ وإذا اقتنع حلفاء الغرب بهذه الرغبة ، فلماذا لا يمدون يدهم للروس لتدعيم السلام فى نية صادقة ؟

والجواب على هذا التساؤل صعب . فإن تاريخ السوفيات فى روسيا يشير إلى سرعة التقلب فى سياسة روسيا الخارجية عند ما تتطلب منها الظروف ذلك . وخير مثل على ذلك اتفاق روسيا وألمانيا النازية فى مطلع الحرب العالمية الثانية بالرغم مما فى المذهبين (الشيوعى والنازى) من التناقض والمعاداة والتنافس . ومن أبرز الأمثلة على التقلب موقف الشيوعية السوفياتية من الصهيونية التى وصفها ستالين فى كتاب (الماركسية ومشاكل

(١) أستاذ النظم المقارنة فى جامعة اكسفورد .

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا — قبل قرن واحد من يومنا هذا — أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة — عقب انحلال المؤتمر المذكور — « أن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع من أنفسهم ؟ » ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة » ؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة الكثيرين ممن حضروا مؤتمر فرنكفورت الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاماً إلا عندما يؤدى إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ...

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل .. بالاستسلام إلى القنوط والخور ...

أبو خلدون ساطع الحصرى

الأقليات والاستعمار) الذى صدر سنة ١٩٢٠ بأنها « حركة رجعية انتهازية ، وأنها وليدة الاستعمار الغربى » . وقد كانت الصهيونية محرمة فى روسيا ومضطهدة إلى ما قبل بضع سنوات (عام ١٩٤٣) ، وكانت تحارب فى السر والعلانية . قارن هذا الموقف الروسى بحاضر العلاقات بين موسكو ويهود فلسطين والتحالف السوفياتى الصهيونى تر عنصر هذا التقليد الانتهازى فى سياسة السوفيات الخارجية . وهو فى الواقع تقلب لا تخلو الدبلوماسية الدولية إجمالاً منه وإن كان يبدو عادياً فى مسلك السوفيات .

فقد تكون إذن حملة السلام الروسية الجديدة خطوة انتهازية جديدة يتطلبها الموقف الدولى ، دفع إليها حمل الشعوب فى المعسكر الغربى على الحد من برامج التسلح الهائلة التى تندفع الآن دول الحلف الغربى فى تنفيذها . والضرب على وتر السلام الحساس فى البلدان الديمقراطية خصوصاً فى الولايات المتحدة يجد صداه فى مجتمع يشكو من ارتفاع الضرائب التى تتطلبها هذه الالتزامات الضخمة التى تفرضها مشاريع مارشال وشريعة ترومان والبرنامج الجديد لتوسيع هذا النوع من الحرب الاقتصادية فى بلدان الشرق والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية .

هذا بالإضافة إلى أن حدة الموقف الدولى تفرض تعاونا وثيقاً بين بريطانيا وأمريكا ، فإذا خفت هذه الحدة وشاعت الرغبة فى السلام التى تذكيها حملات ماهرة كحملات الشيوعية الدولية فإن هذا التعاون الإنجلوسكسونى سيفتر بينما تمضى روسيا قدماً فى برامجها النظامية التى تفيد — فى ظل الاقتصاد الماركسى الموجه — بتحالف ثنائى فى مجال الاقتصاد والاستعداد العسكرى فى القارة الروسية على الأقل .

فمن خبراء الشؤون الروسية إذن من يقول بأن هذه الخطوة الروسية السلمية ليست إلا تكتيكا لا يستر حقيقة المقاصد والغايات . ويؤكدون بأن رسوخ النظام السوفياتى فى روسيا اليوم ورسوخ العقيدة الماركسية فى أدمغة حملتها تجعل التقلب فى التصريحات والمسلك الخارجى أمراً سهلاً يستطيع الروس اللجوء إليه دون أن يبدلوا حقيقة سياستهم من خصومهم ومن برامجهم الرامية لبلشفة العالم . ولنا فى الصهيونية مثل على هذه الحقيقة .

فكلنا يعلم كيف أن الأحزاب والجماعات اليهودية فى فلسطين والعالم إجمالاً كانت ولا تزال تتوخى هدفاً واحداً هو السيطرة على نقطة التركز فى الشرق الأوسط ، وأن السياسة الصهيونية كانت ولا تزال تتقلب تبع الظروف الطارئة ، فمرة وطن قومى ، ومرة حكم ثنائى ، ومرة تقسيم محدود يدون شرق الأردن ، وبعد ذلك — حين تواتى الظروف — أرض الميعاد بحدودها الطبيعية وهى تشمل أجزاء من مصر وسوريا والعراق ولبنان . فرابزمان كستالين كان ولا يزال يتلاعب بتصريحات تتلاءم مع الظروف الحالية . والمتتبعون لتطور المسلك الصهيونى يدركون ذلك تمام الإدراك .

فالتقلب فى سياسة روسيا الخارجية ، يعود إلى ثقة صناع السياسة فى الاتحاد السوفياتى من رسوخ النظام الذى يسوسونه خصوصاً وأن وسائل المواصلات الفكرية بين الشعب الروسى والعالم الخارجى خاضعة لمراقبة توجيهية دقيقة يتولاها خبراء مهرة مما يجعل للتصريحات الروسية الرسمية طابعين : طابعا للاستهلاك الخارجى ، وآخر للداخلى . وليس من الضرورى أن يتناسق الطابعان . وهذا فى الواقع مسلك تقليدى فى الدبلوماسية الدولية ، ولكنه لا يتخذ طابع الاتقان الذى يتخذه فى ظل الحكم السوفياتى المطلق .

وعلى أساس هذا الاستقرار فى النظام الشيوعى فى روسيا كان خبراء الأنجلوسكسون يعتقدون بأن برامج (البوليت بيرو) (والكومنفورم) الشيوعية الدولية لبلشفة العالم كهدف أساسى جوهرى لتدعيم الشيوعية فى روسيا والدول الشيوعية الأخرى — هذا البرنامج لا يزال موضوع العمل عند السوفيات ، وعلى هذا الأساس ، فلا صحة لادعاء الماركسيين الأخير بأن الشيوعية والرأسمالية والنظم الأخرى تستطيع أن تعيش بسلام فى عالم واحد

والحقيقة التى يشير إليها هؤلاء الخبراء (ومنهم بوهلن مستشار وزارة الخارجية الأمريكية) هى أن جوهر الفلسفة الماركسية يصر على أن لا حياة للدول والشعوب الشيوعية المبدأ والنظام فى عالم فيه شعوب ودول لا تدين بهذا المبدأ . وهذا الإصرار الماركسى يستند إلى نظريات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع تحملها العقيدة الماركسية على طريقتها الديالكتيكية الجدلية ،

وليس المجال هنا لبحثها .

إذن فإن دعوة السلم تأتي من جانب السوفيات هي في الواقع اكتساب للوقت ، وعرقلة برامج التسلح ، وإثارة الرقيبة بين خصوم حلفاء الغرب وهذه جميعها — ككل خطوة من خطوات السوفيات — تستند إلى تحليلات علمية — علمية لأنها مستمدة من السياسة الروسية المنظمة — وهي كالاقتصاد الموجه ومشاريع الخمس سنوات الاقتصادية تلتزم الدقة وتؤمن بالنتائج على أساس هذه الدقة .

وعلى أسس هذه السياسة الموجهة فإن السوفيات يعتقدون بأن كل مجتمع لا يدين بالشيوعية ولا يسير بموجب الاقتصاد الماركسي الموجه مآله إلى التفكك ، فهنالك مشاكل التضخم المالي وبلبلة التوازن التجاري وصراع العمال وأصحاب العمل مما يخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية تؤدي إلى الثورة العمالية وتطرح بالنظم الرأسمالية في المراحل النهائية .

ولما كانت روسيا غير مستعدة الآن للحرب استعداداً خصوصياً فمن الخير إطالة مدة الاستعداد وإيهام الدول الرأسمالية والرأي العام الدولي بالرغبة الصادقة في السلم، وفي ذلك مكسب مزدوج ؟ فهو يحقق النبوءة الماركسية في تفكك المجتمع الرأسمالي — كما تشير علانية إلى ذلك الدراسات السوفياتية للاقتصاد الأمريكي المعاصر — وهو يعطي روسيا متسعاً من الوقت للاستعداد .

والماركسية فوق ذلك تعتقد بأن طبيعة المجتمعات الرأسمالية متنافسة تسعى لالتهام بعضها البعض — وهذا التنافس أصيل مبعثه طبيعة النظم الاقتصادية على ظل الرأسمالية (والاشتراكية الغربية كبريطانيا ليست ماركسية حقة عند السوفيات) ولذلك فإذا نجحت روسيا في تخفيف حدة الموقف الدولي استطاعت أن أن تسبب فتوراً في شدة التحالف الأمريكي البريطاني وتترك النظم الرأسمالية تكتسب طبيعتها التنافسية فيقوض بعضها البعض بدل الاتحاد على تقويض الروس بأي ثمن .

ويستنتج من هذا كله — والاستنتاج نظري ! كذلك — أن روسيا تعلم بأنها عاجزة الآن عن الكفاح المسلح لتعميم المذهب الشيوعي في كل مكان على أنقاض النظام والمجتمعات التي لا تؤمن بالماركسية — وهذا العجز تصور عن مجاراة المستوى الصناعي والقوة والطاقة المالية المتوفرة في المعسكر الغربي في الآونة الحالية على الأقل — وأنها تنهج سياسة عاجلة مؤقتة لتحقيق الهدنة في معسكر الخصم عن طريق التلويح بغصن الزيتون .

وفوق ذلك فقد تكون تجربة المارشال تيتو في يوغسلافيا حيث مازج بين القومية المحلية الضيقة وبين النظام الماركسي ، وما شاع من أن الشيوعيين الصينيين ينوون الاقتداء بتيتو — هذه التجربة جعلت موسكو ترى أن المجتمعات الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتي قد لا تقبل الرضوخ مباشرة للكومنفورم والبوليت بيرو وإن كانتا تشبهانها في الاتجاه الفكري والأهداف . فإن النظام السوفياتي في روسيا قد بناه من القيصرية الروسية الصارمة مجتمعاً روسياً يستسلم بسهولة للحكم المركزي المطلق . وهذه حالة فريدة قد لا تنطبق على كثير من المجتمعات الأخرى خصوصاً في أواسط أوروبا وشرقيها حيث تكثر الأقليات العنصرية والطائفية وعداؤها للحكم المركزي تقليدي . والواقع أن لينين وستالين قد أوليا مشكلة الأقليات دراسة وافية .

وهذه — كما نرى — حالات تصعب معالجتها على يد موسكو في جو دولي متوتر ، ولذلك فإن مراكز التوجيه في معسكر حلفاء الغرب تنظر إلى غصن الزيتون الذي حملته موسكو في الآونة الأخيرة على أنه مناورة بارعة في الصراع الدولي لا يلاقي رد فعل إيجابي لدى حلفاء الغرب .

وهذا يعني أن مشاكل السلم الحقيقية لا تزال على ما هي عليه من الخطورة السريعة الانفجار .

(نيويورك) محمد عليوي

معهد الشؤون العربية الأمريكية في نيويورك

صور من الحياة :

فـــتى من الريف

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال صاحبي : جئت إلى القاهرة — أول ماجئت — لألتحق بالأزهر ، وكانت أمي قد تدرتني القرآن ، وتفرق أبي للعلم ؛ فأنا وحيدهما ، وأنا أمنيتهما على الله حين أحسا بالوحدة وقد خلت الدار من الحياة والحركة لأنها خلت من مرح الطفولة وجلالها ، وحين شعرا بأن تاريخهما على الأرض يوشك أن ينبت فما لها ولد ، وحين عاشا زماناً يجدان لذع القحط والجفاف ، جئت إلى القاهرة وأنا فتى ريفي لا أعرف المدينة إلا حسن يقع على أوتار أذني موقع النغم الموسيقي العذب ، فينجذب له قلبي وتنبسط أساريري ، ثم رأيتها فإذا هي نور يخطف البصر ، وحركة يتلزع لها القلب ، وثورة يحار لها الفؤاد ، وحياة دافقة مضطربة لا تنام ولا تخبو . وبدت عليّ سمات الحيرة والارتباك ، فإنه ليزعجني أن أسير في الشارع خيفة الدنيّ أن يمكر بي وله أفانين شيطانية تسخر من بساطة الريفي وسذاجته ، وخيفة السيارة أن تصدمني ومالي عهد بأساليب الحيطة والحذر ، وخشية الترام أن يحطمني وهو نهم دائم إلى لحم البشر يتأرّث ولايشبع . ليتني كنت أستطيع أن أغدو وأروح في شوارع القاهرة أتهادى في مشيتي ، وأختال في جبتي ، وأتثر بعامتي ، وتحت إبطي محفظة بها وريقات صغر لا أعي مما فيها حرفاً !

وكان أبي — رحمه الله — قروياً ، نما وترعرع في الريف لا يبرحه إلا لماماً ، اتسم بسماته وانطبع بطابعه ، والريف ينفث في بنيه روح التكاسل والتواكل ، فهو يقضي ساعات الشتاء يستمتع بالدفء والفراغ ، ويطوي عمر الصيف يسترّوح النسمات الهينة اللطيفة في ظل شجيرة ، يجلس إلى رفاقه على المصطبة يتجاذبون أخبار القرية ، أو يخربون على الثرى يلعبون السيجة ، أو يتخذون المجالس الصاخبة يشربون الشاي الأسود . ولا همّ له — من بعد — إلا أن ينظر — بين الفينة والفينة — إلى النبت وهو يتسرب من بين الثرى لينمو رويداً رويداً ، وإلا أن يرقب البهائم وهي ترعى البرسيم في هدوء وعلى مهل . وسكن أبي إلى هذه الحياة وهي تنطوي على نسق واحد ، فأصبح لا يطيق صخب المدينة ولا يصبر على ضجتها . ولكنه ما يستطيع أن يقذف بي إلى القاهرة وحيداً ، وهو لا يطمئن إلى واحد من شباب القرية وطلابها ممن تزخر بهم المدينة لأن فيهم النزقة والطيش ، وصرت الأيام وأبي لا يستقر على رأي .

ثم عهد بي أبي — بعد لأي — إلى الشيخ فهمي وهو شيخ كبير من شيوخ القرية ، نيف على الخمسين ولما يبرح طالباً في الأزهر ، يأتي إلى الجامع بين الحين والحين ، يجلس إلى أستاذه ساعة أو بعض ساعة ، ثم ينقلب إلى القرية في غير تمهل ولا تلبث . وهو حريص على أن يظل طالباً في الأزهر على رغم أنه لا يطمئن إلى حلقة الدرس ، ولا يُعنى بالقراءة والمطالعة ، ولا يأخذ نفسه بالمذاكرة والحفظ ، وهو ضنين بمسكنه في القاهرة ، وهو حجيرة ضيقة قذرة ، لا تتنسم هبّات الهواء النقي ، ولا تتصل بأشعة الشمس الدافئة ، ولا ينفتح جفناها على نور ، ولا ينتفض عن جنباتها الغبار ، عُطّلتْ من الأثاث إلا من حصيرة بالية لا تكاد تستر أرض الحجرة ، وإلا من مخدة ولحاف مشت عليهما أحداث الزمن فتركتهما مزقاً لا تتماسك ، وإلا من صندوق ضم أشتاتاً من حاجات الطالب العزب ، مبعثرة متناثرة في غير عناية ولا ترتيب ؛ ففيه الخبز والجموس ، وفيه اللباس والمنشفة ، وفيه الكوز والإبريق ، وفيه . . . وفيه الكتاب والحذاء ، وإلا من ذير مهجور في ناحية وإلى جانبه موقد . . . وعاش هذا الشيخ بين القرية والقاهرة ، وانطوت السنون فما أفاد علماً ولا أصاب عقلاً ولا بلغ غاية ، غير أنه عرف مسارب القاهرة ومنعطفاتها .

وتنازعتني عاطفتان متناقضتان نحو هذا الشيخ — رائدي — فأنا أطمئن إليه لأنه يكشف أمامي الطريق ، ويشير لي معالمات القاهرة ومسالكها ، وغداً يفتح أمامي باب الأزهر فأدخله لأول مرة وعلى شفتي ابتسامة وعلى عاتقي كبرياء ، أدخله طفلاً يستشعر الرجولة الباكرة والشباب المترقب والرزانة المتكلفة ، وغداً يريني شيخي وهو في رأي عيني لا يمتاز بشيء سوى لحيته البيضاء المرسلة التي تبعث في من حواليه الهيبة والاحترام والظرف ، وأنا

— إلى ذلك — أمقته لأنى أحس فيه معنى من معانى حمق ، وعلامة من علامات ضيق ، وأنا لا أستطيع أن أتبين طريق إلا حين يسير إلى جانبى . وأنا أحتقر عقله ، فكيف يبلغ هذه السن وهو ما زال طالباً لم يظفر بالشهادة ولا بلغ مبلغ العلماء ! وأكره رجواته وهى قد تضاءلت فى ناظرى حين دخلت الحجرة التى يسكن فوجدتها على تفاهتها وقذارتها تضطرب فى غير نظام، وتموج بدويبات الأرض . وأبغضه حين يتكلف العطف ويصطنع الحنان ، وهو لا يحس شيئاً من هذه العاطفة ، فهو رجل قتر محل ، عزب لم يشهد معنى الأبوة ، ولا ذاق لذة الابن !

وأراد والدى أن يغرينى بأن أتخذ من حجرته سكناً فما رضيت ، وكيف أقبل وأنا قد رأيت « السام الأبرص » يدرج على جدرانها فسرت الرعدة فى مفاصلى ، وإنى لأعاف هذه الحشرة وأبغضها وأتقزز لرؤيتها . هذه الحجرة قد بعثت فى الانقباض والضيق ، واستشعرت لدى بابها أن خواطرى الجميلة قد انهارت كلها ، خواطرى التى حاكها خيالى منذ أن غادرت القرية ، ومنذ أن هبطت القاهرة لأرى الحياة والحركة والنور . أين النور المتدفق وهو يغمر الشوارع والمنعطفات ويسيل من النوافذ والأبواب ؟ أين ضجة الحياة وهى تتصاعد سبحات تهتز لها أرجاء السماء ؟ أين النشاط والحركة ؟ أين المرح والسعادة ؟ لقد توارى كل أولئك خلف جدران هذه الحجرة . يا عجبا ! كيف يعيش الظلام إلى جانب النور ، ويطمئن الهدوء إلى جانب الضجة ، ويحيا الصمت إلى جانب الضجيج ، وتستقر الذلة إلى جانب الكبرياء ، ويهدأ العثار إلى جانب السمو ، ويلصق الشقاء إلى جانب السعادة ؟ وسيطرت على الدهشة فسلبتنى من خواطرى اللذيذة ، وتبين لى — لأول مرة — كيف يجتمع النقيضان فى صعيد واحد !

وأصر والدى وأصررت أنا ، فما استطاع أن يثنينى عن عزمى ، ولا رضى بأن أبيت فى النزل ، وإن النزل ليستنفد من مالنا فى ليلة واحدة ما يكفينا أياماً ، وهو حريص على المال شحيح به ، حتى على أنا وهو مال أبى . ثم استحر النقاش بينى وبينه ، فقلت : « أبيت فى حجرة الشيخ على » ، ووافق هذا الرأى هوى فى نفس والدى ، ولكن ساءه أن أفضل تلك على هذه !

والشيخ على فتى من طلاب الأزهر فى جسم نحيف ضعيف يكاد يتهادى من هزال ، ويوشك أن ينقض من وهن ، يخيل إلى من يراه — بادى الرأى — أنه بقية من إنسان أو أنه نفاية رجل . وإنه ليحس مكانه من الناس وقد تخلف عنهم ، فهو ما يبرح يتهادى فى مشيته ، ويتأنق فى حديثه ، ويشمخ بأنفه ، ويتطاول على رفاقه ، ولكنه لا يبلغ أن يكون رجلا !

وهو يعيش بين خمسة من ذوى قرابته فى حجرة واحدة ، وهو رئيسهم ، لأنه يكبرهم جميعاً فى السن ، ولأنه أعرفهم بالقاهرة ، ولأنه ألصقهم بالأساتذة ؛ يقتسمون أجر السكن على سواء ، يتعاونون على نفقات العيش ، ويتآزرون على حوادث الحياة ، يتكاتفون على قسوة الغربة ، ويتظاهرون على مشقة الدرس

ودخلت حجرة الشيخ على مثلما دخلت حجرة الشيخ فهمى من قبل ، فهما على نمط واحد ، لا تبذ واحدة واحدة . ولكن نفسى اطمأنت إلى هذه حين لمست فيها الإيناس بقدر ما نفرت من تلك حين وجدت فيها الوحشة . أنست إلى هذه لأنى ألفيت هنا الصاحب والرفيق ، ولأنى وجدت مهرباً من الشيخ فهمى ، فما لى به حاجة من بعد ، وهو رجل ضيق العقل ، راكد الذهن ، شحيح النفس ، جامد الكف ؛ وهؤلاء رفاق : نغدو معاً إلى الأزهر ، ونروح سوياً إلى الدار . وهدأت هواجسى ، فأنا الآن أستطيع أن أعبث مع صحابى كيف أشاء ، وأستطيع أن أمكر بالشيخ على حين تسول لى شيطانتى أن أفعل ، وهو الآن ولى أمرى ووالدى !

وصرفتنى روح المرح والعبث واللعب — بادئ ذى بدء — عن أن ألمس ما أعانى من شظف وشدة ، وعن أن أحس ما أقاسى من حرمان وضيق . والشيخ على ممسك لئيم خادع ، يراوغ الواحد منا عن قروشه ، ويداوره عن مصروفه ، وهو فظ لا يستشعر قلبه الحنان ولا الرحمة ، ولا يبض كفه بدرهم أتنسم به روح الحياة الناعمة فى القاهرة ، فعشت زماناً لا أتذوق إلا الخبز والجبن والملح ، ثم جف حلقى وما لى طاقة بذلك !

وضاقت نفسى بما أجد فانطلقت إلى الشيخ فى ثورة جامحة أسأله حقى ، فرتب لى مليماً كل يوم لأشترى به متعة الحياة ولذة العيش ! .

وادخرت — بعد أيام — مليمات ، وإن نفسى لتهفو نحو

في ذكرى أديب العربية:

يرحمك الله أبا عبيدة!

للأستاذ محمد سليم الرشدان

يا لله ما أعجب! هذا هو الدهر تنقضي أيامه وتنطوي لياليه، فيجتاز بذلك حولاً من العمر، يطل من ورائه أبو عبيدة، أديب العربية الأكبر، العلامة الجليل محمد إسعاف النشاشيبي فإذا هو ذكرى في ثنايا التاريخ، وإذا هو حنين تنبض به القلوب، ثم إذا هو طيف تجتليه الخواطر، وتفتقده النواظر.

وعلى هذه الآمال المديدة، لطالما ربضت له مخوف السبل، وعوقت عليه وعر المسالك. فعبر كؤودها، واعرورى متونها، ومضى قدماً لا تقعده الخواطر، ولا تكبح جماحه الأرزاء. فكلما أدرك غاية، بدت له من ورائها غايات.

بل وعلى هذا الطموح ما زال به يستحث خطوه الطامح، فهو لا يستقر إلى مآل، وهو ما يفتأ يشد الرحال ولكنه أخيراً مضى بعد أن خاض شتى المجاهل في دنيا (العربية)، وتجاوز في ارتيادها بعيد الآفاق. فلم تفته منها صغيرة، ولم تقف بين يديه كبيرة، فقد ألم بوسعه وسبر أغوار تلك، وأحاط من ذلك كله بما لم يحط به إلا قليل، فكان شأنه في هذا السبيل، شأن المجاهد المستبسل، لا تقعده جراحات الثغور، ولا تروعه أحابيل العدو الخاتل عن خوض غمرة الكفاح، ولا أمد ولا وزر، إلا ما اشتمل عليه من مضاء العزيمة، فأدرك النصر الباهر في كل ميدان. ومضى في قافلة العمر تزامله العزة والأنفة والإباء، لا يضير هذه القافلة أن تعترض سبيلها (الأشواك) حيناً، ثم لا تلبث أن تحول أو تزول.

أرأيت — يا أخي القارئ — بركاناً يضطرم أواراً، ويتسعر لهيباً، ويتلظى في جوفه شواظ وحمم، فهو إذا ما فار وثار زفر زفرة أسكت بها من حوله كل ناعم! كذلك عهدت النشاشيبي المتقد حيال أعداء العربية، وأجراء ذوي الأغراض. وما لك لا تستيقن ذلك حين تسمعه يردد ساخطاً.

«وأن يجم ذنب صاح. (إن لكل عصر سنة، وإن لطبيعة العصر سلطاناً على القول، فكيف تنادينا إلى لغة يقول العصر — إن استفتيناه — ليست هذه بلغتي! فنحن نشأنا ما تنادينا إليه، ولا نحب أن نقتل أنفسنا منكبين على القول القديم العتيق، الذي شرب الدهر عليه وأكل، ولا نهوى إلا لغتنا المصرية السهلة الواضحة، التي يفهمها كل إنسان حتى راعي البقر ...) أن يجم لنا مثل ذلك الذنب ويعوي عواءه»

الفاكهة وقد حرمتها منذ زمان وأنا أرى دكان الفاكهي في غدوي ورواحي فيجذبني إليه في شدة وعنف ولكني لا أجد الجرأة على أن أقف ببابه أساومه. ثم دفعني شيطاني إليه — بعد حين — فاشتريت ربع أقة عنب دفعت ثمنها ستة مليمات. ولكن حرارة القيظ تركت العنب يلتهب كأنما أوقد عليه بنار جهنم، ثم دفعني شيطاني مرة أخرى فاشتريت ثلجاً بمليم واحد. وهكذا أنفقت في واحدة كل ما أملك: سبعة مليمات ادخرتها في أيام وأيام.

وتسللت إلى حجرتنا في حذر وأنا أوقن بأنها خاوية، وأن أصحابي جميعاً في الأزهر ولن يحضروا إلا بعد ساعة؟ ودلفت إليها على مهل، ثم وضعت أمامي العنب وسويت عليه الثلج، وطفقت أنظر إليه في شوق وأنا أمد في شغف، وأتناول الحبة إثر الحبة، أتذوقها في لذة وسعادة وطمأنينة.

وعلى حين فجأة انفتح الباب ودخل الشيخ علي، واعتراني الارتباك والخجل، ونظر هو إلى الطبق أمامي وقد ملأته الدهشة وسيطر عليه العجب واندفع يقول: «عنب وثلج! عنب وثلج! هذه هي متعة الحياة ولذتها!» ثم انصرف وعلى وجهه سمات الغيظ والحرمان في وقت معاً.

وعجبت أنا لحديث الشيخ، ثم انطويت على نفسي أحدثها: «ما أتفه متع الحياة ولذائذها إن كانت تشترى بسبعة مليمات!»

ثم انطوت الأيام لتعلمني أن متع الحياة ولذائذها غالية غالية تكلف المرء الدم والعمر والمال جميعاً ...

كامل محمود حبيب

القمناه حجراً وحجرين ، وعصوناه ثم قلنا له : أجل أيها المجل الحاوت إن لكل دهر لغة ، وإن لطبيعة العصر سلطاناً ... فيران (اللغة المصرية) هي لغة مختلة ، فنحن ندعوك إلى معاونتها وتقويتها جلاوة القول القديم ، لكيلا تُسَلّ أو يدود لحمها ثم تموت ... » .

بمثل هذا القول كان يسمت أولئك الذين طالما دعوا — من حوله — إلى نبذ لغة (القرآن) ، والاستعانة عنها برطانة غوغاء السوقة ، وترك ما أمن أئمة العربية شباة أقلامهم وشباب أعمارهم ، بجمعه واستنباطه من قواعدها وأصولها ، واستبداله بما خيلته طبيعتهم الأعجمية ، من كلام مهمل سقيم ... يا للكفر الصراح ، ويا للعقوق الآثم ! لم لا يعد هذه (الثلة كالثلة[1]) ؟ ولم لا يعد من كان في مثل هؤلاء (ذيباً أو كلباً) ! بل هل عيبتك — لو كنت حيث كان — إلا معترضاً بمثل قوله :

« كلا ! إن هذا الزنيم قد جهل وحاد عن الحق ، واحتقد على لغة العرب فكدح في محوها (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ...) » . لكأني بك تقول ذلك (أو من مثله) ما دمت تنقض لهذا الإرث الجليل الخالد ، الذي لو كان حصاد عام ، بل لو كان حصاد جيل لكان فاقته . ولكنه — يا فتى — حصاد المئين من السنين ! فأنى لك الرزاء (آمدالك) ! والخطب — لو حصل — جليل ، والمصاب — لا كان — مفزع مهول ! فما لأبي عبيدة لا يفزع ؟ بل ماله لا يستنفر الإنس والجن والسموات والأرض والجبال . فيخرج من (صومعته) هائجاً ، وهو يردد متسائلاً :

« وكيف يسول الخبث والعجز والجهل ولؤم العصرية » كيف يسول كل ذلك لعتي أن يأتي بالكفر بواحاً وبالشر صراحاً ، ولا يحسب لكفره بالحقيقة حساباً ، ولا يخشى لشرارته عذاباً ، ولا يخاف عقاباً ! وكيف يهون له احتقاب كل موبقة . أن يؤتى إلى اللغة العربية . . فيجز شعرها ، ويخدش ذلك الخد الأسيل ... ويخمش ذلك الوجه الجميل ويغم ! وتصبح (ابنة عوف) مضرب المثل في القبح ، وهي المثل المضروب في الحسن والجمال !! ... » .

أرأيت كيف كان أبو عبيدة (طيب الله ثراه) يتعصب للعربية وأهلها ، فلا تأخذه في سبيلها لومة لائم ، ولا يبالي أن يخاصم القريب والبعيد ما دام قد انحرف عن الجادة ، وجانب الصراط السوي . وإذا كان المرء يناضل في ميدان واحد لا يعدوه ، فقد كان هو يناضل (في آن واحد) في ميادين شتى . ومن ذلك أن يتصدى (موجهاً أو مجيباً أو معترضاً أو متحدياً) في أقطار مختلفة ، وفي صحف متعددة ، وقد تنكر خلال ذلك في أزياء ، وادرع لكل ميدان ملبوس . فهو « أزهري المنصورة » حيناً ، وهو « السهمي » حيناً آخر . ثم هو إن بالغ في التواضع (والتواضع خلة لا نعدوه) أرسل ما يكتبه غفلاً من أية سمة ، فيشاركه صاحب المجلة تكشفه معرفاً كلامه الذي ينم عليه بقوله : « لأستاذ جليل » أو بما هو من على شاكلة هذا التعريف . ثم هو جريء لا يحابي . إذا تعرض لأمر تخشى عواقبه ، يحمي حجاز التواضع جانباً ، ويبدي للخصوم باسمه وكنيته ، شأن البطل المقدام لا يبالي أن يرمقه الخصم استهانة بخطره ، وغلواً في المغالطة والمجادلة . فليرحمك الله أبا عبيدة ، لقد كنت أمة في رجل ، وكنت رجلاً (نسيج وحده) .

ليتك تعلم — يا قارئي الكريم — مبلغ اعتزاز ذلك الأديب الفذ بكتاب الله ! لطالما أجابني على كثير مما كنت أسأله عنه بآيات بينات منه . وهو يردفه مفتخراً : « أرأيت أي كنز يحوي بين دفتيه هذا الكتاب ؟ أو رأيت شبيها له فيما عبر بك من لغات (آشور وسريان وعبران) ! هيهات ! ولئن تحريت فما أنت بواجد ! (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) » .

كان رحمه الله كثيراً ما ينظر إلى هذا الكتاب العظيم نظرة المشفق المحب ولسان حاله يستعيد قوله فيه : « يا أيها الكتاب المعجز ، لقد هلك من يحرك فصاحتك ، ويسكنه بلاغتك ، ويقدرك قدرك ، ويعطيك من حدمتك حقك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ، ويخرون سجداً وبكياً . وهل يعرف بلاغتك المعرقة البلينة ، إلا عربي قح صليب ، لم تشن ملكته العربية من العجمة شائنة ، ولم تؤذ أذنه كلمة قلقة واهنة !! أفتبياً لمثل هذا ستبا ، وتعساً ونكساً رزيا وجدلاً

---

(١) الثلة الأولى : الجماعة من الناس . والثلة (الثانية) القطيع من الغنم . وهما من كلام القاشي .

أن يبغي أن يصل ، فتحتجب الأمة الرزينة ، على لغتك البارعة الفذة المضرية . . . » .

وإن أنس يوماً قصدت فيه إليه ، فأقبل على يحدثني بقلبه ولسانه عن دنيا العروبة والإسلام . وينطلق شأن المؤمن المتفائل ، يؤكد لي انحسار هذه المحنة في يوم (قريب آت) ، وانطلاق لغة الضاد من عقالها لتنهض بأعباء الإنسانية ، ولتؤدي رسالة الحضارة . وما فتئ يكرر بين حين وحين : (ولم لا يكون ذلك واللغة هي اللغة ، والآباء هم الآباء ، والابن مهما كان جاحداً عقوقاً فلا بد أن تجتذبه أصالة المحتد وكرم النجار .) وبعين موعد انصرافي فأستشيره في فقرات من قوله أعرضها نمطاً من أساليبه وأنا أتحدث عنه في طليعة الأدباء أثناء بحثي عن (الأدب في فلسطين) في المجلة الحبيبة إلى قلبه (الرسالة الزاهرة) ، فلا يكون منه إلا أن يتناول كتاباً يضع سبابته على سطر فيه وهو يقول : (أكتب من هنا ، ولن تحتاج بقول تنتزعه من سويداء نفسي ، وتستخلصه من قرارة يقيني إلا أن يكون هنا !!) . ثم أحدق أقرأ (هناك) كلاماً لا يختلف عما كنت أسمعه منه في حينه إلا بألفاظه ، ودهشت أعجب حين رأيتني حيال كلام قاله عام (١٩٢٧) جاء فيه :

« اللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة . وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى ... واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحرم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيع . وإنا أمم اللسان الضادي العرب ، وإن لغتنا هي العربية ، وهي الإرث الذي ورثناه . وإنا لمثقفون — والآباء هم الآباء ، واللغة هي اللغة — بأن تبقى عربية النفس ، وعربية اللغة .

ولو كان الوارثون ستاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداي . (وإن الدهر لمستمع) ، وأما الخير طرقة أطرمها الناس ، والزمان بالخير وإن جاد شحيح . فالعربية الصنيع العبقري للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة ، أو كنز الزمان ، ضن به ثم سخا ... » .

يا أخي القارئ : هذه صورة ناطقة ، أخرجها بين يديك في ذكرى هذا النابغة العبقري لئن أنت عرفته من آثاره ولم تره ، فليس الخبر كالخبر ! وإن كان خبره جميلاً عليك (وما أخاله يكون) ، فاعلم أننا في فقده حيال مجاهد كان سيفه القلم ، وميدانه القراطيس ، وجلاده عنيف قاسم ، لا هوادة فيه مع أخصامه ، (وأخصامه أخصام العربية) !

ولطالما جال النصر باهراً ، والظافر مؤزراً . فرفع من شأن هذه اللغة الكريمة ، ما أعلى منارها ووصل من صيرها حتى حببها إلى قلب القلوب . وفي سبيلها لم يجاوز ميداناً إلا صال فيه ولا خصماً إلا ثبت في وجهه ثبات (أحد) و (أبي قبيس)

وأخيراً ، أعنته جراحات الدهر ، فسكن الفؤاد النابض بحب العربية وأهلها ، وصمت اللسان الذليق ، وما كان ليصمت لولا أن أصمته الدهر . .

ففي رحمة الله أبا عبيدة .

محمد سليم الرشدان

ماجستير في الآداب واللغات السامية

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية في شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

(بقية ما نشر في العدد ٨٠٨)

— ٢ —

أما شعر محرم الاجتماعي فقد كان مضمخاً بعبير عاطر من التوجيه الديني والإرشاد الخلقي ، فقد نظر الشاعر نظرات صائبة إلى الأوبئة الخلقية التي تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة وتطيح بالشرف ، حيث انسابت الأفاعي البشرية في ظلام الاحتلال تنفث سمومها في الأجسام الصحيحة ، فإذا الإنسان الطاهر العف يتحول عارماً كبيراً يحب الخرق في شمم ، ويريق الدم المصون في تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ، وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم ، فتحسس الداء تحسساً دقيقاً ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم قبلته ووجهته ، فنادى بالرجوع إلى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ويقترفون الفواحش ، وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التي يرتكبها الإباحيون ، وتنشرها الجرائد اليومية مادة دسمة لإنتاجه . وفي الجزء الأول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلي هذه الفضائح ، وقد أحاطها الشاعر بسياج من النصح الأدبي ، والتوجيه الخلقي . وإنك لتحس لوعة محرم وأسفه حين يتحدث عن شرذمة غاوية اتفقت على البغي فهوت إلى حمأة الرذيلة تلغ في أرجاسها الشائنة غافلة عن عقاب الله لجنة وراءها ووعيد محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أظل كلاً   على إدمانه لذة أبوه
إذا ما ثار للفحشاء منهم   أخو الشهوات عاد أخوه
لهم ضحكات أطلس ما يوارى   دم الهلاك عليه وفوه
عليهم من جرائمهم سمات   وما أنفوا الشنار فيجحدوه
إذا ما عن في الظلماء صيد   تداعوا حوله فتصيدوه
تراءى بينهم فتساوروه   إلى أن قال قائلهم دعوه
فتنا النساء وادلجوا بالحسنه   وأكبر همهم أن يلفقوه
أيأمر بتقوى الله قوم   وما عرفوا الإله فيتقوه
شباب العار ما تركوا رجاء   لنا في مصر إلا خيبوه
أأمسى ربة الشعراء منهم   وضج العرش مما أحدثوه
أتى التنزيل بالآيات تترى   وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفى لعهد الله فيهم   وعهد محمد إذ ضيعوه !!

وفي ديوان الشاعر من هذا الطراز جملات مشبوبة تتقد بالروعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى في صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقي ، رغم ما امتلأ به ديوانه — في الجزء الثاني خاصة — من حث على ثقافة المرأة وإيضاح لمركزها الدقيق الذي تحتله في المجتمع . ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر الدعوة المصرية التي رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتحلل من الحجاب ! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مهما تكاثرت المبررات ، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية التي تحرم التبرج تحريماً قاطعاً ، وما كان له أن يحيد من ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينه . ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير . فمحرم إذن يكتفي بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه ، فليس لها أن ترتع في الأسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته في ذلك إذ يقول :

عمدنا لربات الحجال نريدها   أقاطيع ترعى العيش مثل سوائم
وإن امرأ يلقى بليل نعاجه   إلى حيث تلقى الذئاب لظالم
وكل حياة تلتم الأرض صحة   ولا كحياة جلبتها المآثم
أتأتي الفتاة الشعر والطرس والسلا   بما عجزت عنه الفحول العوالم
فلا ارتفعت سفن الحرام بساعد   إذا حلقت فوق النسور الحوائم
سلام على الأخلاق في الشرق كله   إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

أقاسم لا تجنب بنفسك تتقى ... لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتى أنت تبكى مصابها ... لما قام للأخلاق فى مصر قائم
بعثت إلينا بالكتاب كأنما ... صحائفه عما حوى سلالم
أحاطت بنا الأسد الغضاب جهيرة ... ودبت إلينا فى الظلام الأراقم
ألا إن بالإسلام داء مخامراً ... وإن كتاب الله للداء حاسم

ولنقرن هذه الصيحة الثائرة على دعاة السفور بإحدى صيحات محرم فى ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحارب تعليم المرأة فى يوم من الأيام ، وإنما احتاط لدينه وصيرورته ، وتمسك بكتاب ربه وهدى نبيه . وحسب الإسلام منه أن يذود عن مبادئه فى قوة ، ويتمسك بحدوده فى إيمان ، قال محرم :

ما أبعد الخير والمعروف من أمم ... تبغى فروعاً وترضى بالحياة سدى
وجاهل ظن أن العلم مفسدة ... للبنت فاقتص التعليم واقتصدا
مهلا فرب فتاة أهلكت أسراً ... بجهلها وعجوز أصبحت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى ... أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب فى أخلاقه صعدا ... والأم تذهب فى أخلاقه صعدا
لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة ... نعم السبيل إلى إصلاح ما فسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قاسما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منه نزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب فى هجومه بتوجيه الإسلام ، ويسترشد بتعاليمه ، فلا يميل إلى الإسفاف والمهاترة ، أو يجمح إلى التشهير والتنديد ، بل إن قصائده فى أعداء الإسلام « كهانوتو وكرومر » كانت تجنح إلى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منه الأدب والذوق . ولله محرم ، فطالما جادل بالتى هى أحسن ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع أن الشعراء يجدون لأنفسهم من الإقذاع فى الهجو ما يأبى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

— ٤ —

بقى أن نتحدث عن الناحية التاريخية فى شعر محرم ، وهى ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إلى موقف تاريخى طواه الزمن ، فخلده الشاعر ، ولا جرم فقد كانت ثقافته تاريخية إسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التى تجلو عظمة الفتح الإسلامى وتتحدث عن أبطاله المسلمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة أكسبت اتجاهه قوة ذاخرة ، وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! وإذا كان الشاعر قوى الإيمان بعظمة القادة المبرزين من أعلام الإسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال فى ميدان التاريخ حتى لينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية تصويراً لا يلحق بغباره متسابق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم إلى أعظم أبطال الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم إلياذة كبيرة تقع فى عدة آلاف من الأبيات المختارة المنتقاة ، يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده إلى أن جاءه اليقين . وقد قرأتُ ما وقع لى من شعر الإلياذة فكدت أستظهره فى يسر ، وما كدت أن بلاغة محمد قد نضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له الفن الجموح ، ورقمت يده على النادر اليتيم من الأساليب ، وقد راعى أحد منازع حديثه ، فهو فى بحر واحد يجلجل ويهدر حتى ليسمعك الصليل والصهيل ، وقد يصعد إلى القافية الشموس فى موقعه الحلمى ، فيخضعها لبيانه المشرق . وللقارئ أن يطالع قصيدته الهائية فى فتح مكة فهى وحدها الحجة والدليل .

وكنت أقع فى دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم فى الموضوع الواحد مرات متعددة ، وهو فى كل فريدة من فرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، وقد فرض على نفسه أن يحيى رسول الله فى كل عام بقصيدتين فى مناسبتى الهجرة الشريفة والمولد السعيد . أضف إلى ذلك ما يعرض من المواسم الأخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئاً بجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول فى عاطفته :

ما فى الروائع من لبيب حاذق ... إلا وأنت أتم منه وأحذق
والقول مستلب الهاجس مائل ... حتى يقول العبقرى المفلق
أنت الجلال الرحب تستحصر القوى ... فيه وتحتدم الجياد السبق
حسان منهمر وكعب ماهر ... والنابغ الجعدى دان مورق
أطمعتهم فتجاوزوا ميك المدى ... وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لى عندهم ما أنت من عدة الأولى ... إلا رواء مخيلة ما تصدق

والحق أنه — رحمه الله — كان يجد فى الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيأه فى هجير الحياة ، حتى تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضى كما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية فى مختلف البقاع

إلى الخير ...

للأستاذ ثروت أباظة

... نعم يا سيدي ، فقد رأيتني أهيم في المتاهات من الظلمات ، شارداً أضرب في الحياة وتضرب بي ولا مصير ... أقطع الطريق أو أقف دونه لا يشجعني على السير صديق أو يحثني دون التوقف رفيق ، وأنا مع الحياة لا أبالي أين يلقي بي موجها ، فكل أفق لي قبلة ، فليس لي في أي أفق من الآفاق أمل مرتقب ، وحولي الناس كلهم لاهٍ عن غيره إلى نفسه ، فابتعدت عنهم ؛ ولم يكن لي نفس لأثوب إليها أو أطمئن بها ، فكنت أشرئب إلى السماء صارخاً بين الصائحين فأسأله في عليائه أن يجمع بيني وبين أحد عباده على الأرض طريقاً ... فإذا طال بي السؤال دون الإجابة ابتهلت إليه أن يضمني إلى سمائه أرى الرحمة الكبرى من ورائها تلك التي في سيمها والناصيا .

ولم يكن بي عصيان لأوامره ، غير أني أحسست على الناس النقمة ، وكرهت أن أرى السيء منهم ، فانصرفت إلى دار الكتب حيث يباح التنقيب بغير أجر ، فظللت أقرأ وأقرأ ، وكنت كلما ازددت قراءة قلت في نفسي : لو لم تكن هذه الكتب من عمل الإنسان لكانت أعظم مما هي عليه ... وكنت أعجب كيف يستطيع الإنسان الكنود أن يخرج مثل هذا الصفاء ... كتاب لا يملك ، فإذا مللته أنت لم يغضب ، بل يقيم أيامه منتظراً منك العودة ؛ فإذا عدت لاقاك مفتوح الصدر ، صريح العبارة ، لا يمنع عنك شيئاً ؛ وإذا قصر يوماً عن الإفهام اعتذر إليك وقدم وسيلا ليشرح ما غمض فيه .. هكذا يا سيدي عرفت صديقاً على الأرض ، وهكذا كنت أفكر في شأنه ، فما خانني ولا خنته ، بل زادني تجربة وعلما . . وهكذا يا سيدي حسبت أن الله قد أجاب بي الدعاء وحقق لي الأمل فرحت أكتب إلى الجرائد أستعين بما ترسله من مال زهيد على ما كل بي إلى الوصول إليّ ، أو مسكن يقفر — على رثاثته — أن يضمني بين جدرانه . أما الناس يا سيدي فقد يئست من وجودهم منذ أزمان بعيدة .

وتلك رسالة الشاعر العامل ، إذ يحمل بيده المشعل المضيء فينير السبيل .

وكنت أود أن أتكلم عن الإلياذة كوحدة مستقلة فأعرض لها ببعض التحليل والتشريح ، ولكن القدر قد كتب لها أن تظل في مهملات وزارة المعارف بجفوة سمجة في عصر مجحف ظالم وضعت الدرر الغالية في قاعة ، وعلت الجيف المنتنة فوق سطحه ، فطبعت دواوين الشعراء من المتافين والمسفين ، وأهملت ملاحم النوابغ الملهمين ، ولولا ما قرأته في المجلات الأدبية والعلمية كالرسالة والثقافة والأزهر من قصائد متناثرة تنتمي إلى إلياذة محرم لظننتها خرافة مختلق صريح !!.

وإذا تعدينا تاريخ محمد إلى غيره من المرسلين فإننا نجد محرماً قد اندمج أيضاً وراء عاطفته الدينية فنظم في قصص الأنبياء ملحمة طويلة ألقاها في موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء ، وخروجهما من الجنة ، ثم دلف إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية مبينا جهود كل نبي في دعوته ، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف ، ثم ما كان في النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل ، وإن كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الأنبياء في ملحمته الجديدة ، وحديثه عن محمد في إلياذته الخالدة ، حيث كان في الأولى مؤرخاً يسجل الحوادث كما حكاها القرآن ، وتناقلها الرواة والمفسرون دون أن تقوم شاعريته بتوليد بارع أو ابتكار رائع ؛ ولكنه في الإلياذة قد جمع بين التاريخ والفن ، فهو يبدع في الفكرة والعرض معاً كما يرسم صورة الزمان والمكان . وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها في لباقة تحمد للناثر المترسل فما ظنك بالمقيد قافية ووزناً إن ذلك توفيق كبير .

رحم الله محرماً فقد أسدى إلى العروبة والإسلام يداً بيضاء لم يسلفها شاعر عربي قبله ، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة في دمنهور كادحاً متعباً لا يجد الناشر الذي يظهر ديوانه الرائع في ثوب لائق بمركزه المرموق ، ثم وافاه الأجل المحتوم فسكت الأدباء عنه في قسوة ، غافلين عن أدبه الحي وفنه الرفيع . وكأني به في حنادس القبر يردد متأوهاً ناعياً بيته المحزن .

ظمئت وفي فمي الأدب المصفى   وضعت وفي يدي الكنز الثمين

(جزيرة الروضة)   محمد رجب البيومي

ولم يكن اليأس صريحاً – كما يقولون – فقد مضيت برغم صداقة صاحبي، الكتاب . كذلك ياسيدي كنت حين شاء لك دولاب الأدب الزهيد أن تختارني لأعمل في مكتبك على سبيل التوام فتسمعت إليك يائساً من الصداقة والشهرة، آملاً في الكسب، ولاقيتني يا سيدي فأحببت فيّ خلقاً وسلوكاً، وأحببت فيك كل ما فيك، ولم أجرؤ أن أبين من هذا الحب خشية أن يتمادى بي ثم تتقطع بيننا الأسباب.. خشيت على نفسي ياسيدي، ولكن خلقاً فيك كريماً أبى إلا أن يشجعني فأحببتك وأحببت الناس فيك ولك.. ووجدت نفسي قد خلقت خلقاً آخر، فلا حقد ولا يأس ولا قنوط، وحاولت بي ياسيدي تعدل من عطفك فأمدك من حبي حتى وجدتني أقول لك من غير وعي «إنه لو جاء يوم أعترضتني فيه بأني والله لن تقوم لي قائمة بعده» ... وأنت أضحك يومئذ يا سيدي وأنت تضحك لي في حب كبير – «إنها أوهام – طالما يتخيل الإنسان أموراً ثم يحسبها فلا تلبث أن يديها مرور الأيام» وقلت لك ياسيدي: «إنه لن يكون هناك أيام اتدبرها فسوف أذوب أنا قبل أن تمر هذه الأيام» هكذا يا سيدي بلغ بي الحب فمشت أرصد حياتي لك ولخدمتك حتى نلت فيك ما نلت وكنت أنت حياتي بعد أن تقطعت بي أسباب الحياة.

وهانت ذا يا سيدي اليوم تقصيني عن موارد حبك فأخرج إلى الكتاب مرة أخرى والآتيه فيلاقيني مفتوح الذراعين حانيا، وكنت أقسمت يا سيدي وأنا أعمل بمحربتك ألا أكتب في غيرها أبداً؛ وهل ترى يا سيدي باراً بهذا القسم؟ بيد أني تذكرت اليوم فقط أمراً لم يخطر لي ببال، تذكرت ياسيدي أنك مرهف الحس، دقيق الشعور، وخشيت ياسيدي إذا أنا حطمت حياتي أن تشعر بما جنيته على، ولا أريدك ياسيدي أن ترجع إليّ وأنا حطام تصبغني على حياتنا كم مهادامت أنت بيننا منها. فقلت في نفسي: لأعمل حتى لا يشعر بما جناه، وحتى يطمئن إلى أني مازلت أقاوم الحياة. وإني يا سيدي حتى اليوم كلما سألني سائل عن سبب القطيعة خلقت في نفسي حيرة لا أطيقها تجرؤ أن تنقلب إليّ وأنا من أحببته أنت حبا من القحر، ولكنني كنت أحور على نفسي حتى لا يجور القوم عليك.. فأنا ما زلت أحبك شأني دائماً، أما ما قام بنفسك من شك في وفي حبي لك فأنت وحدك الذي ستمحوه حين تستبين حقيقة نفسي مادمت لم تستبنها حتى اليوم؛ وما دمت يا سيدي تعتقد – رغم كل ما أبدت لك – أني كنت أداهنك وأداجيك ولعمري أي فائدة تعود عليّ من المداهنة والمداجاة وأنا لم أطلب منك يوما مطلبا لنفسي؟ أي فائدة وقد أغريت لتركك بالمال فكنت أسب كل من يجرؤ على هذا أي فائدة! اللهم إلا إذا كنت تعاملني أمثل لجود التمثيل؛ وحينئذ يا سيدي أسمح لي أن أرى في هذا التفكير اعتلالا عما عرفته فيك من ذكاء لامع ... ولكن دعني يا سيدي أقل الحقيقة.. إنك عجبت أن يكون في العالم إخلاص كإخلاصي، واستبعدت أن يحب شخص شخصا مثلما أحببتك، وخشيت أن أكون كاذبا فقلت في ضميرك: لأريح نفسي من عناء البحث والاستقصاء والتحليل، ولأقطع بيني وبينه الصلات قبل أن يفجعني بالخيانة. ولو أنك نظرت إلى ماضي وأنت تعرفه لعلمت أن مكانك من نفسي ليس بالقريب... لقد كنت يا سيدي كالواحة التي يجد بها الظامئ ظلا وعيشا، وموئلا بها لا يريم... كنت ياسيدي كذلك في حياتي وما تزال يا سيدي كذلك ولن تزال.

لعلك تعجب لم أكتب إليك كل هذا الكلام... كتبت لأبين لك عما يتعرض به حسي، ولأطمئنك على كامل من الأيام فلا يملكن عليك العطف شعورك، ولتهدأ بالا ولتثق يا سيدي أنني لن أصادق بعدك أحداً حتى لا أفجع فيه مرة أخرى، ولكني سأعيش، وسأعيش بما أعده لي من شهرة، فأنا لك أين تأتي بي الأيام وحدها، ولكني أستحلفك ياسيدي ألا تعامل غيري بمثل ما عاملتني... على أنه لن يتاح لك أن تفعل، فإن أحداً لن يحبك أو يخلص لك كما أحببتك وأخلصت لك – لأن أحداً لم يلق في حياته إيمانا كالذي لقيت. والسلام عليك ورحمة الله

قرأ صاحبي الخطاب وأنا أتابعه مأخوذاً بأسلوبه المترسل عاجباً من إخلاصه المسكين؛ وما انتهى الصديق من القراءة حتى صرت إليه أقول:

– فمن الكاتب؟

– لقد عرفت شخصيته وما أظنك بحاجة إلى معرفة اسمه.

– ولم أقصيته عن موارد حبك بعد أن أحببته؟!

– لقد أجاب هو عن هذا السؤال خير إجابة

القوة الحربية لمصر والشام

في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

(تتمة)

واقتضت الضرورات الحربية هدم بعض المدن التي يخشى أن تكون خطراً في يد العدو إذا سقطت في يده، وقد رأينا أمثلة لذلك في فصل الحروب السياسية.

ومن تلك المدن التي هدمت مدينة تنيس التي أمر الملك الكامل سنة ٦٢٤ بتخريبها، فخربت وظلت خراباً إلى اليوم[1]، ومدينة دمياط، ففي عهد المعز أيبك اتفق المماليك على تخريبها خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى، فوقع الهدم في أسوارها سنة ٦٤٨، وخربت كلها، ومحيت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع، وصار في قبليها أخصاص على النيل، سكنها ضعاف الناس وسموها المنشية، وهي أساس مدينة دمياط الحالية. وفي عهد بيبرس أخرج عدة من الحجارين سنة ٦٥٩ لردم فم بحر دمياط حتى لا تستطيع سفن الأعداء دخوله، فمضوا وألقوا فيه من كبار الحجارة ما ضيقه، حتى أصبح من العسير دخول مراكب البحر الكبار منه[1]، ولا يزال على ذلك إلى الآن.

وإذا كانت الضرورة الحربية قد قضت بهدم بعض المدن، فقد أنشأت الحرب بعضاً آخر، كمدينة المنصورة التي أنشأها الملك الكامل سنة ٦١٦، بعد أن ملك الفرنج مدينة دمياط، فإنه نزل بموضع هذه البلدة، وخيم به، وبنى قصراً لسكناه، وأمر من معه من الأمراء والجند بالبناء، فبنيت هناك عدة دور، ونصبت الأسواق، وأدار عليها سوراً مما يلي البحر، وستره بالآلات الحربية والستائر، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط، وأخذت تنمو من يومئذ حتى صارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق[2]، وفي هذه المدينة نزل الصالح أيوب عندما هاجم الفرنج دمياط، فأصلح سورها وجعل الستائر عليه، وشرع الجند في تجديد الأبنية هناك[3]، وبعد موت الصالح بها، دارت المعركة التي انهزم فيها الصليبيون هزيمة نكراء.

وأنشأ الصالح أيوب مدينة في أول الرمل للذاهب إلى الشام من مصر، سميت الصالحية، وكان ذلك سنة ٦٤٤[4]، وجعل فيها قصراً وجامعاً ومسجداً، وقد أنشأها لتكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل[5]، ومنذ ذلك الحين اتخذها الجند مركزاً لهم إذا خرجوا للغزو، أو عادوا إلى مصر.

* * *

وكان لمصر في ذلك العصر علم يميزها، كان لونه في عصر الدولة الفاطمية أبيض[6]، مكتوباً عليه بلون ذهبي أحمر قوله تعالى: نصر من الله وفتح قريب. وتختلف أحجام الأعلام، إلا أن أكثرها استعمالاً كان طوله ذراعين في عرض ذراع ونصف[7]. وكان إلى جانب هذا العلم الرسمي علمان خاصان بالخليفة، يعرفان بلواءي الحمد، وهما رمحان طويلان، ملبسان

(١) السلوك ج ١ ص ٢٢٤

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٦١
(٢) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٧٣
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥
(٤) هامش النجوم ج ٥ ص ١٥ نقلا عن خطط المقريزي
(٥) السلوك ج ١ ص ٣٣٠
(٦) تاريخ الفن الإسلامي ج ١ ص ١٠٢ وخطط المقريزي ج ٢ ص ٣١٨
(٧) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٨٠

— أو ما يزال مقصياً !!

— أو تظنني إلى هذا الحد من الجحود! لقد ذهبت إليه أستغفره فغفر... إن كل ما أرجو أن يبلغ إخلاصي له مبلغ إخلاصه لي... أراح الله مني.

— والله إن لم تخلص له فأنت أكبر جحود رأيته، وأعيذك أن تكون ولن تكون... فبالله عليك لا تسر به إلا إلى الخير.

— إلى الخير دائماً إن شاء الله... إلى الخير.

ثروت أباظة

بألناس من ذهب إلى حد أسفلهما، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين (١).

فلما جاء صلاح الدين اتخذ راية ذات لون أصفر (٢)، وكان في ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — مستقلة ذات كيان خاص بها، ولست أدرى إن كان هذا اللون الأصفر لون أعلام نور الدين أو هو لون انفرد به صلاح الدين، لأننا نجهل لون راية نور الدين، ولعلها كانت سوداء كرايات العباسيين

ولا نعلم بوجه التحقيق السر في اختيار صلاح الدين هذا اللون. أما سر اختيار الفاطميين للون الأبيض، فهو مخالفتهم المخالفة التامة للعباسيين، الذين اختاروا اللون الأسود شعاراً لهم قبل العهد بهم اختار الفاطميون لون أعلامهم.

وظل العلم الأصفر عند الأيوبيين والمماليك من بعدهم، وكان من الرايات عندهم عدة أنواع: منها راية عظيمة من حرير أصفر، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه، وتسمى العصابة؛ وراية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش، ورايات صفر صغار تسمى السناجق (٣)، وصار المتولي أمر الأعلام السلطانية في عهد المماليك وظيفة أمير علم، أما العلم دار فهو لقب الذي يحمل العلم مع السلطان في المواكب (٤).

* * *

ولم أعرف زي الجند في العصر الفاطمي سوى أنهم كانوا يلبسون السراويل والبرانس (٥) أما بعد ذلك فقد أدخل سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتة بمصر Calotte، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير عمائم، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم. ولم يزل السلاطين والجند يلبسون الكلوتات الصفراء بلا عمامة إلى عهد المنصور قلاوون فإنه أضاف لبس الشاش على الكلوتة، وقد صارت تصنع من الصوف الملطي الأحمر، وفي

(١) المرجع السابق ص ٤٦٩
(٢) الروضتين جـ ٢ ص ١١٦
(٣) صبح الأعشى جـ ٤ ص ٨
(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ٤٥٩ و ٤٦٣.
(٥) نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٧٨

عهد ابنه الأشرف خليل رسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش، حتى يتميز الأمير بلبسه من غيره، وتركت الكلوتات الجوخ الصفر لمن دونهم. على أنها ظلت تلبس فوق ذوائب الشعر المرخاة، على ما كان عليه الأمر أولا. وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهي صغار، وحلق رأسه، وحلق الأمراء رءوسهم، وتركت ذوائب الشعر

وفي عهد المماليك كان الجند يشدون أوساطهم ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ، وعليهم أقبية بيضاء أو مشجرة حمراء أو زرقاء، وهي ضيقة الأكمام، وفوق القباء كران يعلق بأزرار وحوائص، وفي الحوائص جراب أو كيس من جلد، وفيه منديل طوله ثلاثة أذرع. فلما جاء قلاوون صاروا يلبسون الأقبية التترية، وفوقها القباء الإسلامي، وعليه تشد المنطقة والسيف. ويتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقبية فوق ذلك قصيرة الأكمام (١).

* * *

وكان العادة في الأسرى أن ينزلوا في معسكر خاص بهم، فتساق الرجال إلى من فيه من الأسرى ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر الملكي بعد أن يعطي الوزير طائفة منهم ويفرق ما بقي من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصناعات، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية، ويقال لهم «الترابي» وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن كان يستراب به من الأسرى ضربت عنقه. ولم يعرف قط في الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله (٢). أما في الدولة الأيوبية فكانت المفاداة تحدث من الجانبين.

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) خطط المقريزي جـ ٣ ص ١٦٠ و ٣٥٢ وملخص السلوك جـ ١ ص ٤٩٣
(٢) خطط المقريزي جـ ٣ ص ٣٩٤.

موكب الأبطال

للأستاذ علي محمود طه

(هذا هو النص الكامل لقصيدة الأستاذ الشاعر التي حيّا بها أبطال الفلوجة بعد أن استقبلهم موكبهم الظافر بين الهتاف والخواطر)

أقدِمْ فداك حديدها ولهيبها ... واقحم عجاجتها فأنت ربيبها
مجدُ الفتوح الغُرّ أنت وريثه ... والحرب أنت على المدى مرهوبها
ما الحرب إلا ما شرعتَ وما رأت ... أممٌ تذود عن الحقوق شعوبها
نادت فريقٌ على الدماء شريعها ... يمشي، ويقتحم السعير حصيبها
شرفُ المحارب أن يعفّ سلاحُه ... إن خاضت الهيجاء وهو حريبها
ليجير شعبًا أو يحرر أمةً ... لا تستباح ولا يضام نجيبها
النصرُ أن تلقى الطغاةَ بضربةٍ ... شعواءَ لم يُصبِ الطغاةَ ضريبها
غفل العدو المستخف بطلقةٍ ... إن لم تمته، فقد تميته ندوبها
والجِدُّ أن تحمي وراءك تربةً ... ضاقت مسالكها وضاق رحيبها
يجري الحديدُ بأرضها وسمائها ... يجري وطار، تصبه ويصيبها
شدت يدُ الفولاذ حول نطاقها ... حلقًا تصيح النار: كيف أذيبها!!
بالروح والإيمان أنت فككتها ... ما كان فولاذٌ على يديك صليبها
حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها ... روّعت جحافله وطاش وثوبها
عضّت على كتفيه والتفت على ... ساقيه، وانسدت عليه دروبها
ومشت له منها ضراغمُ غابةٍ ... كلُّ الردى أظفارها ونيوبها
فتلفّتت به عنها، وغودر جيشه ... بددًا تعقّبه الحتوف وخُوبها
جثثًا تعاف البيدُ شربَ دمائها ... ويعفّ كاسرها ويأنف ذيبها
شرفًا كماةَ النيل أيُّ بطولةٍ ... راع الكماةَ فنونها وضروبها
ومواقفٌ لكمو تشيد بذكرها ... حولٌ وراء النار قام رقيبها
وملاحمُ الأبطال في «فلوجة» ... قصص الكفاح غريبها وعجيبها
«هومير» ما غنّى بها «طروادة» ... وكتابها ما ألهمته حروبها!

ضربوا الحصار على الكماة فقادهم ... نظل الشجاعة في الحروب أريبها
متمرّسٌ بطباعها متمرّسٌ ... في دورها، يقظ الطلى مرهوبها
[illegible] أممٌ كأنما احترقت به ... حربٌ من الميلاد كان نشوبها
إما وثبتَ، عليه من جمهورها ... أدمٌ زهاه من الثبات مهيبها
ظلت به إفريقيا وتطلعت ... آجامُها وجبالُها وسهوبها
تروي عن عصب الدهاة لصيده ... ويمد أشراك الردى ويجيبها
ما زال مضطرمًا بصولٍ ودونه ... بيداء يغشاها اللظى ويجوبها
ساق الطغاةُ لها وراءس فتنةً ... حمراء ينفخ في الجحيم دروبها
عرضت مآتمها سمومٌ وتقدّمت ... أممٌ تمور على الرمال ذنوبها
حتى رآه كرى السماء فتفتحت ... وتلألأت بسنى السلام ثقوبها
ومشى الكميُّ أشمَّ يعز رجاله ... أبطالُ حربٍ لا يجرّ سليبها
أن يُستذلّ ثرى عليه دمازم ... ساقت، لقد روّى الحياةَ صبيبها

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمُ ... بالنار يستبق الشبيبةَ شيبها
وقنائلٌ خلف الخدور هواتفٌ ... كالطير أذّن بالصباح هبوبها
ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم ... طاقات وردٍ ليس يذهب طيبها
وهفت غمائمُ في السماء تظلكم ... ويرفّ مصعدُها إليكم وصبيبها
وعلى طريق المجد من «فلوجة» ... نُهجٌ تحوم في التراب وجيبها
شهداؤكم ودّوا هناك لو أنهم ... قدموا بأوبة يُروع خطيبها
طلعوا بنور الفجر فوق مآذنٍ ... تدعو، ورجعُ السماء يجيبها
هاتوا حديث الحرب كيف تطاولت ... لكمو معاركها وهان عصيبها
في قريةٍ محصورةٍ كسفينةٍ ... في لجةٍ هاجت رياحٌ غضوبها
لم تدرِ فيها الريحُ أين قرارها ... والشمسُ أين شروقها وغروبها
كم حدّثوا عنها وقالوا في قيد ... للقاع تهوي أو يجنّ رسوبها
ويصور والدنيا عيونُ أحبةٍ ... ألسهدُ والألم الممضُّ حبيبها
ترعى النهار وتتقي غسق الدجى ... هذا يطمئنها وذاك يريبها
إنّ حماةَ الشرق كم بجهادكم ... تشدو العصورُ بعيدها وقريبها
هذي الضفافُ وهذه داراتكم ... دارت شمسٌ لا يحول شحوبها
ترنو لكم وتكاد من أشواقها ... تمشي! وكيف جرى كماة دبيبها؟
لم لا أحييكم قوافيَ التي ... غنّى ملحمةَ الحياة طروبها
هي من روائكم ومن جديدها ... منكم، ورمتي في البيان وطيبها
بالله إن طفتم بساحة هامد ... زعماءُ مصرَ عيونها وقلوبها
فتقدموا تحت اللواء وقرّبوا ... هذي السيوف الداميات غروبها
أحبِب له ولمصرَ أيَّ عبادةٍ ... هي زخرُ الأبد وهو وهوبها
مهما تقلبت تربةٌ قبرَ البطل ... ما دام يُسقى بالدماء خصيبها

علي محمود طه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

حول العبقرية والحرمان

أستاذى . . .

قرأت لكم مقالا تحت عنوان « العبقرية والحرمان » بأحد أعداد الرسالة الزهراء . وكنت كعهدى بكتاباتك ملهماً مبدعاً حتى أنى قرأت المقال مرات ومرات ، واستوقف نظرى بين ثناياه كلمات كتبتها عن « بيرون » الشاعر الإنجليزى العظيم عندما تقول : « إن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى العظيم » . . وفى الوقت نفسه تحاول السيدة أمينة السعيد فى كتابها عن شاعرنا هذا ، وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » أن تنقض هذا الرأى وأن تقول إن التاريخ الأدبى لم يخلد « بيرون » وأشعاره إلا يوم أن كان يعيش تحت ظلال الحرمان ! وإليك هذه السطور التى كتبتها عنه : « كانت طبيعة بيرون الحقة إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلبه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وإذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وظل على هذا الحال طوال حياته ، فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأكثرها خلوداً » . إلى هنا ينتهى رأى الكاتبة الأديبة . وهو رأى يحتاج إلى التأمل العميق والحكم بأى الرأيين أصوب - إننا نقدس حرية قلمك وصراحته ، ونأمل أن يكون الرد على صفحات الرسالة .

عبد العال حسين إسماعيل
(معهد فؤاد الأول بأسيوط)

أشكر للأديب الفاضل كريم التقدير وأدب الخطاب ، وأسجل إعجابى بهؤلاء الشباب المخلصين للأدب والفن من طلاب الأزهر فى هذه الأيام ؛ وإنها لظاهرة تبشر بالخير فى مجال خلق جيل جديد يقرأ ويناقش وينهل من ينابيع المعرفة فى شتى فنون الفكر وألوانه ... من حق هذا الجيل الجديد أن أحييه على صفحات « الرسالة » ، لأن الكثرة الغالبة فيما أتلقاه من رسائل ممتازة هى من طلاب الأزهر لا من طلاب الجامعة !

بعد هذا أجيب الأديب الفاضل بأن هذه الكلمات التى جرى بها قلم السيدة أمينة السعيد تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى ، وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . ولقد كنت أرجو أن يكون رأى الأديبة المصرية قائماً على دراسة شعر بيرون مرتبطاً بحياته ومقترناً بطبيعته النفسية والخلقية ، ولو أنها بذلت جهداً فى هذه الدراسة لخرجت برأى غير الرأى ونظرة غير النظرة ، ولكن كتابها فى ميزان أدب التراجم لا يعدو أن يكون قصة طريفة تدور حوادثها حول شخصية بيرون ومغامراته ونزواته ورحلاته ! ومعنى هذا أن الدراسة النقدية لشعره لم تحظ من قلمها بنصيب ، وكذلك الدراسة النفسية فى مجال الكشف عن صلة الفن بالحياة ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل ما يتلقاه من هزات القلب والشعور !

شخصية بيرون الأدبية والإنسانية شخصية جلية المعالم واضحة السمات . لقد انحدر من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناؤها من آباء ، ولكن بيرون خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة ومواهب الفنان ، ولقد حفظت هذه الموهبة تلك فلم يلق الحياة بالشر المطلق الذى يلغى الإحساس بالألم العارض والهم العابر ووخزات الضمير . . كان جل همه أن ينشد صحة النفس ولذة الجسد ونشوة العاطفة ، لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الرجل الجميل المدلل الذى لا يمد عينيه أبداً إلى أمام ! وفى محيط الشر والإثم كان « الفنان » الذى فى دمه يستيقظ من حين إلى حين ، ومن هنا كان بيرون يتألم ولكنه الألم العابر كما قلت ، يطرق بابه ليرتد عنه بعد لحظات أمام جموح الشباب المترف الذى يحطم فى سبيل غاياته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود !

الألم فى حياة بيرون لم يكن ألماً بالمعنى المفهوم عند شاعر مثل هاينى ، ولكنه كان لوناً من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما فسحت الحياة من طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه ... حلوة ، صافية ، عميقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحواً والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار متحجرة

ساخطة ، ثائرة ، تحس هذا الظلام الذي لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء ! من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التي لا غموض فيها ولا تعقيد .. يقول بيرون : « لقد هببت من نومي ذات صباح فألفيتني مشهوراً يتردد اسمي على كل لسان » ، ذلك بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى أيدي الناشرين فدفعوا باسمه إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذي حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه في رأي الفن لأعظم أعماله الأدبية على الإطلاق ! .. لقد جاءت ترجمته الرائعة بهذا الشعر في لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون في ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به عباب البحر إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هي الحياة .. الحياة التي كانت تفجر الشعر في أعماقه تفجيراً ، وتهدي إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك في « تشايلد هارولد » !

وإذا ما تردى بيرون في هوة الإثم والفسق والفجور سمت نزواته وسعد فنه وسعد قراؤه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة لرجل يرى السعادة في إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الجامحة المسعورة في شخص « أوجستا » أخته من أبيه .. ومن هذه النزوة المحرمة في شرع العرف والسماء تدفق إبداع بيرون في « عروس أبيدوس » ، وهي القصة الشعرية التي تصور قصة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو قصة الهوى الآثم بين « أوجستا » و « بيرون » على التحقيق ! صحيح أنه سجل أنه انبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم في بعض شعره ، ولكن الحقيقة التي ثبتت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذائذه الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويقتر هناك .. يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور .

إن العبقريات كما سبق أن قلت ثلاث : بعضها يترعرع في ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج في رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال .. ومن البعض الأول كان بيرون ، ومن البعض الثاني كان هايني ، ومن البعض الثالث كان جوركي ، ولعل في هذه العجالة ما يهدي الأديبة المصرية إلى معالم الطريق !

إلى صديقي الشاعر المجهول :

رسائلك القريبة الروح تنقلني إلى عالمك .. إلى عالمك كما يبدو لي من خلال كلامك ترفرف عليه الإنسانية بجناح من رقة العاطفة واشتعال الوجدان . لقد ناديتني بهذه الكلمات العميقة : « أخي في الفن ، أخي في النقد ، أخي في العروبة ، أخي في الإسلام ، أخي في سماوات الفن الإنساني الرفيع » .. وشاء ذوقك الأصيل أن تضفي على تلك التوائم من الثناء الحلو ما لا طاقة لي على ذكره !

لماذا آثرت ألا تذكر لي اسمك ؟ إني أود أن أعرفك أيها « الإنسان » .. ويسرني أن تبعث إلي بشيء من إنتاجك لأراك رأي الفكر حين يعز علي أن أراك رأي العين !

تسألني ما هي الأبحاث التي تغلغلت إلى الأعماق وسارت قبولي ، وما القصص الذي تقرؤه وما التراجم والدواوين والأبحاث النقدية التي أرى فيها ومضاً من فكر ونوراً من حس ، وإدراكاً للقيم الحقيقية دون الالتفات إلى البهرج الزائف والطلاء المصنوع ؟

معذرة إذا قلت لك إن هذا السؤال يحتاج إلى شيء من التحديد ، فأنا لا أدري إذا كنت تريد الجواب عن هذا كله في نطاق الأدب العربي أم في نطاق الأدب الغربي أم في نطاقيهما معاً ! إنني في انتظار رسالة منك تحدد لي فيها ما تريد الجواب عنه .

ولك يا صديقي المجهول تحية ملؤها الود الخالص والتقدير العميق .

لحظات مع إيليا أبي ماضي :

قلت في عدد مضى من « الرسالة » إن في شعر المهجر شيئاً يثير إعجابي ، وأوثره بتقديري ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة — ذلك هو عمق الصلة بين الفن والحياة ! الحياة في شعر المهجر نفس عميق ، وحس رقيق ، ونبع شعور متدفق .

ولعل هذه القصيدة التي صدح بها أبو ماضي في الحفلة التكريمية التي أقيمت له في دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية — عنوان القصيدة « عجباً لقومي » — ومطلعها هذه الأبيات :

حي الشآم مهنداً وكتابا ... والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قبابا ما رأيت وإنما ... عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصوراً ... للعلى سكنت حصى وترابا

هنا وفي كثير من شعر أبي ماضي تلمس الصدق في الفن كما تلمس الصدق في الشعور ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق في التعبير ، وحسبه أن تمر به

التجربة الشعورية فيجسدها في صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يتتبع عناصر الصدق الشعورى في تلوين الصورة ، وأن ينشد بعد ذلك مظاهر الصحة الفنية في إبراز الإطار ! أرأيت إلى التناسب النادر بين ضخامة اللفظ والمعنى والخيال في البيت الثانى ، وإلى قوة الوثبات التعبيرية والنقلات الموسيقية في البيت الثالث ؟ إن الإيقاع هنا يتوازن مع التعبير والشعور بحساب مع رنين الكلمات ويهتز تجاوباً مع درجات السلم الموسيقى : فالتم بروحك أرضها — تلثم مصوراً اللظى — سكنت حمى وروابيا .. إن التوزيع الإيقاعى هنا أشبه بتوزيع الضوء في يد مهندس فنان !

وانظر إلى هذا التوزيع الممتاز مرة أخرى حين يخاطب « وطنى » بهذه الهمسات :

روح أطل من السماء عشية   فرأى الجمال هنا فحن مثالا
وصفا وشف فأوشكت شماله   تنساب من وجه به منسابا
وطنى ذكرتك والعطاش طردوا   وبنى الهوى فترشفوك رضابا
صمت بك الأدهار لم تحبث ولم   تفسد وكم خبث الزمان وطابا

وإذا ما انتقل أبو ماضى من مناجاة « وطنى » إلى مناجاة « شهيد ميسلون » ينقلك معه من أفق إلى أفق . إن صوته الهامس هناك قد بدأ يعلو هنا في نبرات قوية صاخبة ، وكذلك موسيقاه ، إنها لم تعد تلك الأنغام الهادئة الوديعة التي تنطلق من ناى أشبه بناى الرعاة ، ولكنها تستحيل هنا أنغاما أخرى تهز مسمعيك منها ضربات موسيقية عاصفة ، كتلك التي تطالعك من « سوناتة » لبيتهوفن قبل أن تشرف على الانتهاء :

إنى لأرض ما الدنى وأحبه   مهوى الحياة مشقة وصعابا
ويضوع عطراً كلما شد الأسى   بيديه يحرك قلبه الرتابا
ويسيل ماء إن حواه تقدد   وإذا طواه الليل شع شهابا
وإذا العواصف حجبت وجه السما
حـدل العواصف للسما أسبابا

هنا لون من الغناء ، ولكنه الغناء الحماسى الملتهب الذى تتلاحم وتموج الملاحم ، وهكذا يكون الشعر : همسا في مواضع الهمس ، وجهرا في مواضع الحنين ، وارتفاع نبض وجهرة صوت في لحظات التوهج والتوثب والانطلاق ! .. وقف طويلا أمام هذه الصورة الفنية التي اكتملت لها الأبعاد والزوايا في مجال التسلسل التعبيرى : يضوع عطراً إذا ما حرك قلبه الأسى — يسيل ماء إذا ما حواه قدد — يشع شهابا إذا ما طواه ليل — يجدل العواصف أسبابا للسماء إذا ما حجبت العواصف وجه السماء ... إن الشاعر هنا لا ينظم فحسب ، ولكنه يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية في شعره ، كما يشرف المهندس البارع من فوق منصته على حركة المرور في ميدان يموج بالعابرين !

بعد هذه المناجاة الحارة لشهيد ميسلون يضرب أبو ماضى بصاحبه التوينى في أفق آخر ، حين يعرض لموقف العرب المتخاذل من القضية الفلسطينية .. ومعذرة إذا ما اقتصرت على ترديد أبياته في هذا المجال بيني وبين نفسي لأن قلم الرقيب هناك ! حسبي أن أثبت هنا هذه الصرخات :

دنياك يا وطن العروبة غابة   حشدت عليك أراقما وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً   واجعل لسانك مخلباً أو نابا
لا شرع في الغابات إلا شرعها   هدم الكلام شكاية وعتابا
هذى هي الدنيا التي أحببتها   وسقيت غيرك حبها أكوابا

إن وراء هذا الشعر شاعراً جبار الجناحين مكتمل الأداة !

رأى في ترجمة آلام فرتر :

في جلسة جمعت بين نفر من أسرة « الرسالة » ووزارى مدونتها الأدبية ، دار حديث عن حول الكلمة التي عقبت بها على رأى الأستاذ سلامة موسى في ترجمة آلام فرتر للشاعر الألماني جيته ... وكان التعليق الوحيد من الأستاذ صاحب « الرسالة » هو أن مد يده إلى أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج منه رسالة بعث بها إليه المستشرق الألمانى الدكتور جوليانس جرمانوس حول ترجمته العربية لآلام فرتر . وتناولت الرسالة وقرأتها فإذا هي قطعة من التقدير العميق والإعجاب الرائع ، بترجمة يقول عنها الدكتور جرمانوس إنها تستحق منه خالص التهنئة على مطابقتها للأصلين الألماني والفرنسى ، مطابقة بلغت الغاية في الأمانة والصدق وبلاغة الأداء !

ولم أجد بداً في سبيل تحديد القيم ووضع كل شيء في مكانه ، من أن أطلب إلى الأستاذ الزيات أن يأذن لي بترجمة هذه الرسالة التي فرض عليه التواضع أن تبقى في مكتبه دون أن يطلع عليها الناس ... وفي العدد المقبل أقدم الترجمة العربية لرأى المستشرق الألماني في ترجمة صاحب « الرسالة » لآلام فرتر .

من الأعماق ولمرحلة الذكرى :

لو علم الأستاذ كامل محمود حبيب أى جراح أثارتها في نفسى قصته ، لتردد طويلا قبل أن يتفضل مشكوراً بإهدائها إلى ... أيها الأديب الصديق ، لماذا نبشت بكلماتك من طوايا حطام دفنته أشلاء ماض جريح ؟ إن هذا الماضي الذى تشهد يوما في صميم عظامى ، ستجيبك أطيافه في العدد المقبل وتناجيك رؤاه !

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والفن في المعرض :

لم يغفل المعرض الزراعي الصناعي القائم في الجزيرة ، من روائع الفنون ، وأهمها الرسم والنحت . وأبرز ناحية تمثل فيها الفن بالمعرض « متحف الحضارة » الذي يمثل الحضارة المصرية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث ، بالتماثيل والنماذج واللوحات والخرائط . وأول ما يطالع القادم على المتحف تمثال كبير للانسان الحجري القديم وقف في مدخل كهفه ، والمنظر رائع من غير شك ، والتمثال موفق التكوين من حيث الدلالة على فكرته ، غير أن باب الكهف الحجري محكم منتظم الشكل بما لا يتفق مع العصر الذي يمثله ، وفي القرى المصرية الآن أبواب أقل منه إحكاماً وانتظاماً ، وما يتصور العقل أن يكون باب الكهف في العصر الحجري القديم أكثر من حجر غير منتظم يسد به المدخل على قدر الإمكان البدائي .

ويشتمل المتحف على حجرات خصص كل منها لتمثيل عصر من العصور ، وقد احتوت على مجسمات ورسوم وأدوات تصور مظاهر الحياة في العصر . وأنت تحتاج إلى نحو ساعة تطالع فيها تلك المروضات الحية ، فما تنتهي منها إلا وقد ألمت بالخصائص البارزة في عصور التاريخ بمصر ، من العصور البدائية إلى أن ترى الفاروق يرفع العلم المصري على القلعة ، ويوزع الإقطاعيات على صغار الزارعين ، ويضع الحجر الأساسي لمشروع كهربة خزان أسوان ، ولو تأخر الفراغ من إعداد المتحف قليلا لرأيت به الفاروق يعانق بطل الفالوجة الأميرالاي السيد طه بك في يوم عيد البطولة .

وقد استرعى انتباهي في المتحف ما كتب على كل من المناظر الطبيعية المجسمة وهو « ديوراما (١) » و « ديوراما (٢) » الخ .

والكلمة تدل على المنظر الطبيعي المجسم . ويقول المشرف على المتحف : لم يضع لنا المجمع اللغوي كلة عربية بدل « ديوراما » والمتحف كله عربي مصري صنعاً ولغة ما عدا (الديوراما) .

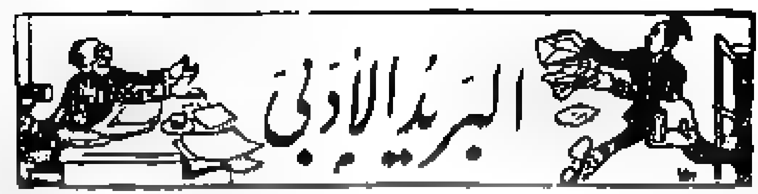
وقد انتثرت في المعرض — عدا متحف الحضارة — آثار فنية جميلة ، وخاصة في معرض وزارة المعارف الذي صفت به تماثيل نفر من أعلام النهضة المصرية في شتى النواحي : كعلي مبارك ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومختار التمثال وغيرهم . وهناك مكان خصص لمعروضات دار الكتب المصرية التي تتكون من بعض المخطوطات ، وقد وقف جماعة من الطلبة الأزهريين الزائرين إزاء « متن الكافية » يقرؤون بعض عباراته ويتضاحكون ولسان حالهم يقول : هذه الكتب وراءنا وأمامنا !

وفي معرض نقابة الصحفيين رأيت العدد الأول من جريدة « الأهرام » الغريبة ، وفي صدره مقال بغير عنوان أوله : « كيفما وجه العاقل أفكاره باحثاً عن حركة العالم الإنساني جعل فروع الحوادث راجعة إلى أصل واحد » فقرأت المقال وسرت مع الكاتب وهو يبحث عن حركة العالم الإنساني ، حتى انتهيت إلى آخره حيث يقول :

« فتلزم وتتفق بعد مساماة البحث أن ترجع هذه الفروع إلى أصل واحد أنتج هذه النتائج وندعوه بالمقال ودليل الحال حب ذات غير مرتب أصدر طمعاً فعل ما ترى » وهذا الحكم المبني على « التأمل في حركة العالم الإنساني » يدل على أن العالم كان في ذلك العهد كما هو الآن : يسوده « حب ذات » وإن كان قد صار « مرتباً » و « فعل ما ترى » لا زال الطمع « يصدره » فالعالم هو هو لم يتغير غير الشكل وطريقة التعبير —

ولا أريد أن أمعن في التأمل والفلسفة كما أمعن كاتبنا القديم فأنتقل إلى « الأخبار البرقية الواردة إلى الاسكندرية » وليس السجع في العنوان فقط ، فهذا أيضاً مطلع الأخبار البرقية : « باريز في ٣٠ تموز » ولو أن صحف اليوم تلتزم مثل ذلك النسق لكنا نقرأ فيها مثل « قصر شايو في ٣٠ مايو » .

ولعل من مظاهر الفنون الجميلة في المعرض ، الرقص — رقص الخيل على نغمات الموسيقى العذبة . ويظهر أن فن الرقص أصيل لدى الفرس ؟ فإن مشيتها العادية تبدو فيها مخايل الفن



أين العلوم في (الرسالة) ؟

يسأل الأستاذ عبد المنعم العزيزى الأستاذ أنور المعداوى :

« أين العلوم في مجلة الرسالة » في حين أن هذه المجلة تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

لا تلومن الرسالة يا سيدى لأنه إذا كانت كبرى المجلات المخصصة للعلوم قد أعسرت وخلعت عنها ثوب العلم لكى تكتسى ثوباً فضفاضاً ملوناً مزخرفاً لا يمت إلى العلم بشىء ، فلا غبار على الرسالة إذا اقتصرت على الأدب لأن قراء الأدب كثار والأدب أقرب منالاً من العلم . وإذا كانت المجلة الموسومة بالعلم لم تخصص عشر صفحاتها لمقالة علمية واحدة لأن بين قرائها عشرة بالمئة على الأقل يفهمون العلم ويودونه ، فلا بدع أن تحرم الرسالة ١٠ بالمئة من قرائها من قطرات العلم مع أن في قرائها ٢٠ و ٣٠ بالمئة من أهل العلم ويتوقون إلى الاطلاع على ما يستجد من النظريات العلمية ؛ فإذا خصصت الرسالة في كل عدد ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة لبحث علمى تكون قد أتمت رسالتها وبزت غيرها .

في معظم ما تصدره مطابعنا من دوريات ورسالات وكتب لا نجد غير الأدب ؛ ومعظمه أدب قديم نلوكه ثم نتقيؤه وقد نتقيؤه زمناً ، وليس في دور العلم إلا المؤلفات التعليمية للمدارس وطلاب العلم .

ما من مدنية قامت على الأدب وحده . وقد يمكن أن تقوم مدنية على العلم وحده . إن مدنية العالم الحديثة قامت على العلوم الطبيعية والكيمائية والرياضية والفلكية والطبية الخ . فإذا شئنا نحن أن نبنى في شرقنا العربى مدنية خاصة بنا يجب أن نحذو حذو أوربا وأمريكا في العناية الأولى بالعلوم ، وإلا فنحن وراء وراء وراء . ولا يمكن أن نتقدم إلى الأمام .

اليابانيون في قرن واحد شرعوا ينافسون الغرب ؛ لأنهم اقتبسوا العلم من الغرب ، حتى إنهم اقتبسوا لغة غربية لكى يتعلموا العلوم بها فأصبحت اللغة الرئيسية لهم . أما أن نقتصر على زخرف الكلام والطباعة في صحافتنا فما هو إلا صراخ يخدر العقول ويطمس الصواب .

يحفزنى الأستاذ أنور المعداوى إلى كتابة بعض مقالات علمية في الرسالة لكى تستوفى الرسالة حقها من العلم كما تستوفى حقها من الأدب والفن . فأشكره حسن ظنه بى وثقته بى طابه وإن كنت في العلم دون ما يظن وله وللعزيزى أطيب تحياتى .

٣ ش البورصة الجديدة — أنور المداوى

أدب القصة وأدب النقد

تفضل الأستاذ الكبير محرر (التعقيبات) فتناول مقالى عن أدب القصة القصيرة بتعقيب جاء صورة صادقة لأدبه ، فقد توهم أنى عنيته بمقالى ، كأن الرسالة مجلة منزلية تنشر وتطبع له وحده ، أما القراء فلا حساب لهم ، وراح يحاسبنى — متهكما — على الوقوف منه موقف الأستاذية وهو ما لم يجر في خاطرى أبداً وما توهمت لحظة واحدة أنى أقرر جديداً في أمر القصة ، إنما هى خواطر مرسلة ليس لى فيها إلا فضل الدراسة والتحصيل والاستنتاج ، وأقول بكل تواضع أنى واثق تماماً من صحتها .

وقد ترك المعقب كل ما أوردت في مقالى من حقائق — لأنه لا يستطيع هو ولا غيره أن ينقض منها حرفاً واحداً — وأمسك بتلابيبى ليحاسبنى على ما توهمه ولم أقله مما يثبت جموح النفس وتمكن شهوة التهكم وتحرج الناس من نفسه .

قال الأستاذ الناشئ « ... ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى في القصة القصيرة مجال محدود ... » في حين أنى لم أقل إلا العبارة التالية : « من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع » وقد استنتج هو من عنديانه أن عكس ما أقول لا بد أن يكون غير صحيح ، كأننا بصدد قضية جدلية ! كما أنى لم أقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ، ولم أذهب إلى أن القصة القصيرة تبلغ أعلى مراتبها في كل حين ؛ بل ذكرت أمثلة محدودة وقلت إن الشخصيات الفذة هى التى ترقى بالأقصوصة إلى مرتبة الأدب العالى الشامل العميق ؛ ومن البديهى أن مجال الأقصوصة في أيدى العاديين من الكتاب مجال محدود .

كما أنني لم أنكر مطلقاً — وليس هذا تراجعاً مني — أن القصة الطويلة أوسع مجالاً من القصة القصيرة أو أنها الميدان الوحيد الذي يتسع لدراسة تطور الشخصيات وتفاعلها مع الحياة دراسة وافية ، بل قلت إن الأقصوصة يجب أن تدور حول محور واحد وتعالج أمراً واحداً معالجة خاطفة فكيف استخرج الأستاذ المعقب من مقالي ما ذهب هو إليه ؟؟

ولماذا يحب الأستاذ المعقب أن يضع نفسه دائماً في بؤرة الضوء ويلتمس لذلك شتى الحيل فيتوهم أنه المعنى بالحديث ، ويقول للناس إن الكتاب يرسلون إليه كتبهم راجين أن ينقدها ويفترض أنه الناقد المثالي الأول فيعلن في زهو وصراحة أنه وجد أكثرها تافهاً لا يستحق العناء ؟!

ويختم الأستاذ كلمته بقوله إنني فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية في مباراة القصة القصيرة التي أقامتها وزارة المعارف ، ومعنى هذا أن هيئة التحكيم لم تقدر فني ... أليست هذه مغالطة تكشف عن عنصر آخر من عناصر نفسية كاتبها ؟! —

نصري عطا الله

دمس :

نشرت الأهرام كلمة لأحد الباحثين تحت عنوان « بين العامية والفصحى » ادعى فيها أن (المدمس) أصله (المدمث) بالثاء المثلثة بمعنى اللين ، وأقول إن هذا ليس بصحيح وإليك الأدلة :

أولاً : اشتراك المدمس والمدمث في صفة وهي اللين لا يبرر أنه محرف عنه .

ثانياً : المدمس إدام مصري وطعام عامي بحت وهو غير معروف للعرب .

ثالثاً : جاء في « محيط المحيط » للبستاني ما نصه : المدمس طعام في بلاد مصر يصنعونه من الفول المسلوق والخل والملح والزيت اهـ . ولم يقل أنه محرف من المدمث مع أنه يعنى دائماً بالألفاظ المحدثة والكلمات الدخيلة .

رابعاً : جاء في مادة (دمس) ما نصه : دمسه في الشيء تدميساً دفنه وخبأه وأخفاه وغطاه وستره اهـ . ومن هذا أخذ المصريون كلمة المدمس وأطلقوها على الفول المطهي بوساطة الحمام أو الفرن أو نحوها لأنه يوضع في قدر بها ماء ويسد فمها جيداً وتدفن في الرماد الحار حتى تنضج .

خامساً : يمكن اشتقاق كلمة المدمس من (الدمس) بكسر الدال وتسكين الميم وهو ما يتخلف من روث المواشي ويتخذ وقوداً يوضع في الفرن ونحوه فيتخلف منه رماد حار توضع فيه القدر بالطريقة السالفة .

سادساً : تسمع في الريف كلمة (الدمسة) بكسر الدال وتسكين الميم وهي عبارة عن مكان محفور أو غير محفور يوضع فيه الدمس السابق وتشعل فيه النار للتدفئة وغيرها ، ويقولون دمس الدمسة دمساً إذا وضع فيها الدمس . ومما يؤيد هذا : الفطير المدمس ، وهو المصنوع على الدمس .

علي حسن هويدي
محرر بالمجمع اللغوي

بين نقد ونقد :

أرسل إلينا الأستاذ عبد الرحمن الخميسي يقول إن لديه رداً على ما أخذه عليه الأستاذ المعداوي في « التعقيبات » ، ويرجو أن يفرغ منه هذا الأسبوع لينشر في العدد القادم .

فصيح ثعلب والشروح التي عليه :

مجموعة جديدة في فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجاميز في نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، وكتاب شرح الفصيح للهروي ، وكتاب ذيل الفصيح للبغدادي ، وكتاب فعلت للزجاج ، وكتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب في اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة في اللغة ، وشروح وتعليقات وافية .

ونشر معها لأول مرة في تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه .

ونحن في غنى عن التنويه بهذا العمل العلمي ، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

ويطلب الكتاب من مكتبة التوحيد بالجاميز أمام الخديوية وثمن النسخة خمسة وثلاثون قرشاً .



وميض الأدب
بين غيوم السياسة
لصاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة باشا

بقلم الأستاذ أحمد أحمد العجمي

معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة باشا وزير المواصلات ورئيس جامعة أدباء العروبة علم من أعلام الشعر والأدب والسياسة ، وهو بشخصه العظيم وأدبه الرفيع في غنى عن الإشادة بذكره والتنويه بفضله . وآخر الدلائل على علو منزلته في الشعر والنثر ، ورسوخ قدمه في النقد والتحليل ، كتابه القيم « وميض الأدب بين غيوم السياسة » .

ولعل السبب الأول في نشر هذا الكتاب حب المؤلف للشعر حباً سافراً متوثباً يجعله يقول من القصائد : « وقد أكبر بعضها فأقرؤها واقفاً عند الأبيات التي تتخلل الشعر ... والشعر سحر وفتنة ، وقد افتتنت به ؛ وفيه خيال ، وفي الخيال تسلية ولذة ؛ وهو موسيقى ، وفي الموسيقى طرب وترويح وبهجة ؛ وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولي على الشعور وتملك الوجدان . وأعتقد أن الذي لا يهتز لجيد الشعر جاهل أو بليد ، أما الجاهل فلا شأن لنا به ، وأما البليد فله عذره ، لأنه لم يخلق نفسه ، على ألا يلوم غيره ، وويل للشجي من الخلي » .

بهذا الكلام الجميل ، وبهذا الشعور العميق ، وبهذا القلم الصناع تناول المؤلف في كتابه أكبر الشعراء والكتاب المعاصرين ، فتحدث عن حافظ إبراهيم في موضعين حديثاً ألم فيه بميلاده ونشأته ونواحي نبوغه وذيوع شعره وما كان بين حافظ وبين « بني أباظة » من ود وإعجاب . ثم كتب عن شوقي فصلا صور فيه سحره وعبقريته وجمعه بين الثقافتين العربية والغربية ، وتوفيقه البارع في نظم رواياته الشعرية خاصة « مجنون ليلى » التي كان المؤلف يحفظها عن ظهر قلب . وسجل لأحمد محرم أكبر نصر ظفر به حين قال عنه : إنه شاعر الإسلام غير منازع في عصرنا هذا ، وأشاد بالإلياذة الإسلامية ورجا من معالي وزير المعارف طبعها .

وكتب عن خليل مطران بك شاعر القطرين وأبدى إعجابه بتقدير الناس له وكيف انعقد الإجماع على حبه ، ونوه بتجديده ، وبشعره الرقيق في الغزل وقال : إنني مولع بشعر مطران كل الولع .

ثم كتب المؤلف مقدمته الخالدة لديوان الدكتور إبراهيم ناجي « ليالي القاهرة » فأفاض في الحديث عن الجديد والقديم ، وعن اللفظ والمعنى ، وعن طرق تعبير المدرسة الحديثة في الشعر ، وكيف توطدت هذه المدرسة بالحرب العوان ، وكيف انتصرت هذه المدرسة التي يمثلها ناجي . وأشار إلى الفروق الدقيقة بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة في الشعر والتفكير ، وإلى شخصية ناجي وطابعه الواضح وعاطفته المتأججة في كل أشعاره الطريفة ، وقال عنه : إنني لأحب هذا الشاعر كل الحب ، ولا أعتقد أن حبي طغى على تقديري له ، فهو شاعر رقيق تصل معانيه إلى قلبك قبل أن تصل إليه ألفاظه في طلاوة وسهولة . وقال : إن ديوانه يمثل نهضة الشعر المعاصر وتطوره . ولعل هذا الفصل أبدع وأروع فصول الكتاب .

ثم أبدى المؤلف إعجابه بالأستاذ محمود غنيم وقال : إن ديوانه « صرخة في واد » صرخة الأدب الرفيع سيدوي صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة . ونوه بخصائص الأستاذ العوضي الوكيل في ديوانه الجميل « أصداء بعيدة » وأظهر خصائصه قدرته على سرعة النظم سرعة تكاد تكون ارتجالاً ، وإجادته في الريفيات خاصة في ديوانه « أغاني الربيع » ، ونظم الشعر الرائع في أسرته وأولاده حتى أعد ديواناً كاملاً سماه « عالمي الصغير » . وقال المؤلف عن الشاعر : فأنا إذ أقدمه إلى قراء الشعر العربي الحديث أقدم موضوعاً كاملاً من الأدب العالي والفن الرفيع .

وقص علينا كيف لقي الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي في « غزالة » لأول مرة في مقدمته لديوانه « أحلام الفجر » — وسيصدر قريباً — وقال عنه : إنه شاعر تنبض العاطفة الجياشة في كل ما يصادف القارئ من قصائده ومقطوعاته ، وشبه ديوانه بالمعرض الفني العظيم ، وعلل كيف يراه بحترياً متنبياً في آن ، أو شوقيًّا عقاديًّا معاً .

ويمتاز ما كتبه الناقد العبقري صاحب « وميض الأدب » في الشاعرين : العوضي والغزالي بقوة التحليل ودقة التعليل

وبراعة التحليل والربط بين الشاعرين وأشعارهما ربطاً يحكم اتصالهما به منذ زمان طويل .

وفي وميض الأدب كلمة عن الأستاذ الصاوي شعلان صدر بها كتابه « حكمة الشرق » وبين فيها مقدرته على الترجمة ومعرفته كثيراً من اللغات وفي الكتاب نص الكلمة القيمة التي نشرت في صدر الرسالة منذ شهور بعنوان « أدباؤنا المعاصرون » يليها نموذج رائع من شعر الشاعر الكبير دسوقي باشا بعنوان « مصر والسودان » وهو شعر جدير بوزير . ولا بد من التنويه هنا بأبحاث عقلية في الكتاب مثل « لماذا حاربنا الصهيونية » و « من مهرجان العروبة » وقصيدة العقاد في تكريم المؤلف ، وهي قصيدة قيمة ، ومقدمة ضافية للعقاد في صلة الأباظية بالأدب وحبهم له ، ومنزلة الدسوقي باشا وفضله على الأدب والأدباء ، وفي آخر الكتاب كلمة مناسبة للناشرين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب الذي وفق فيه معالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا ودل على مقدرة بارعة وإحاطة واسعة بوفرة ما تمثل به من أشعار الشعراء ، وكان اختياره الحسن دليلا ناطقاً وبرهاناً صادقاً على ذوقه الرفيع .

ولم يخل الكتاب من مناقشات طريفة لبعض آراء كبار الأدباء ، كمناقشة المؤلف رأي الأستاذ عباس محمود العقاد في الشاعر المجدد خليل مطران ، ومناقشته رأي الدكتور طه حسين بك في مراثي الشاعر الخالد حافظ إبراهيم للأباظيين ، ومناقشته رأي أستاذ الجيل لطفي السيد باشا في شوقي وحافظ ، والمؤلف يبدي آراءه ويدلي بحجج قوية ناصعة تخالف هؤلاء الأعلام ، والرجوع إليها في الكتاب أفضل من تلخيصها في كلمات .

وللمؤلف تعبيرات جديدة محكمة كقوله : لغة الشعر غير لغة القاموس ! وتعبيرات سديدة ناجحة كقوله : في رأيي أن الشاعر المجدد تمديه الفكرة ويصباه الموضوع ، وربما أبعده هذا عن جمال الأسلوب وإشراق الديباجة وحلاوة التعبير ! وتعبيرات لغوية دقيقة كقوله : أمسى اليتيم لطيماً ! واليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه والعجي من ماتت أمه . وتعبيرات ساخرة لاذعة كقوله : فليسمح لي الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك أن أشك في استساغة هذا الرأي لأستاذنا الكبير لطفي السيد باشا ! وتعبيرات لطيفة ظريفة مرحة كقوله في التعليق على قول مطران :

أقسمتُ ما أشركتُ فيك ولم يكن
لي في الهوى دينٌ سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالإسلام دين التوحيد فاشهدوا عليه !!

وتعبيرات أخرى يحق تداولها على كثير من القراء كقوله : هل يكون الشاعر الأول — بين شعراء الشباب — إبراهيم ناجي أم أبا شادي أم فتحيا أم العوضي الوكيل أم أحمد الغزالي أم غيرهما أم هاما ! وكتابة الأسماء بهذا الشكل المقلوب فيها ترتيب مقصود إلا في اسم أو اسمين .

وفي الكتاب بعض آراء تقبل المناقشة ، ولا خير في كتاب أدب وشعر ونقد ليس فيه آراء تقبل المناقشة ، كقول أديبنا الكبير في شوقي : « ستمر الأجيال ألف عام حتى تعثر على من يقف في صفه ويصح أن يقارن به ، شاعر واحد بعد ألف عام لك أن تفاضل بينه وبين شوقي — إنه المتنبي » هذا كلام يمليه حب شديد لشوقي يوشك أن يكون غلواً أو تعصباً ، والمتنبي يفوق شوقي بقدر ما بينهما من عدد السنوات !!

وقد فضل المؤلف قصيدة خليل مطران على قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء البارودي ، وهي القصيدة المشهورة التي مطلعها :

ردوا عليّ بياني بعد محمود ... إني عييتُ وأعيا الشعر مجهودي

بسبب بيت واحد في قصيدة مطران هو :

على الشمس أن تهدي المبصرين ... وليس على الشمس أن تبصرا !

والبيت رائع جداً ولكن قصيدة حافظ أفضل بالرغم من أنها لا صلة بالشعر القديم ، وإن كان مطران أعظم من حافظ مع كراهيتي الشديدة تفضيل شاعر على شاعر فلكل فنان مزاياه .

ويقول المؤلف : محمود غنيم شاعر موموق المكانة يقف في طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين وليس في بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ! ويبدو أنني — بحق وصدق — من بلاد العجم ، لأنني لا أعترف بأن « محمود غنيم » في طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، مع إعجابي بفنه الرفيع .

بقيت كلمة في أسلوب صاحب الكتاب ، وقد قدمت منه نماذج كثيرة ، وهو أسلوب ناصع اللون ، واضح الجرس والرنين ، جزل سهل متين النسج ، أقرب إلى الطبع من الصنعة ، وأدنى إلى السحر من الشعر ، وإنه لسحر مبين .

أحمد أحمد العجمي

مطبعة الرسالة